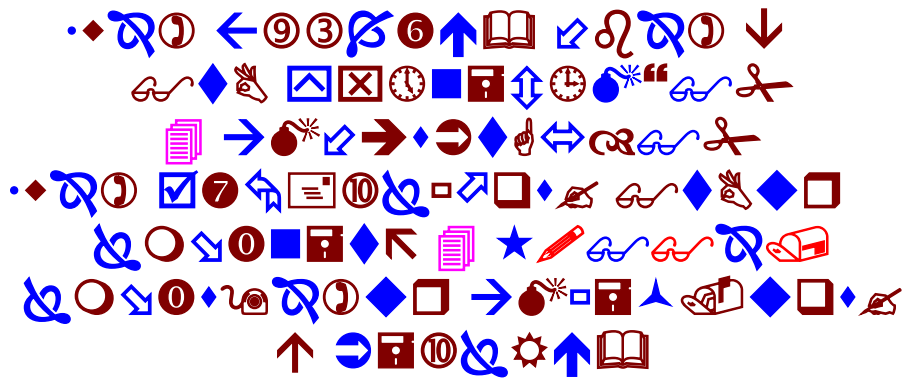


الفكر النقدي في المثل السائر في ضوء النقد الحديث

أ . د . محمد مختار جمعة مبروك
أستاذ الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
جامعة الأزهر بالقاهرة



(سورة هود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين . وبعد ..

فإن قراءة تراثنا النقدي قراءة جديدة عصرية تعد من أهم الركائز التى تؤسس لنظرية عربية حديثة فى النقد الأدبى .
وإننا لفى حاجة ملحة إلى قراءة هذا التراث قراءة واعية تنقحه وتمحصه ، وتنفض عنه ما علق به من غبار الزمن ، قراءة مخلصه غير هيابة ولا متوجسة ، ولا شاكة أو مترددة ، فى رؤية لا تنسلخ عن ماضيها ، ولا تنعزل أو تتخلف عن حاضرها ، إنما تأخذ من الماضى ما تنطلق به فى الحاضر ، وتؤسس به للمستقبل .

وأؤكد أن في تراثنا النقدي من الفكر والتنوع والثراء ما يدعو إلى هذه القراءة، وما يمكن أن يشكل أساساً قوياً متيناً لنظيرتنا النقدية المنشودة، التي نؤمل أن تكون - حالة نضجها - هويتنا الواقية في زمن "العولمة" والتيارات النقدية والفكرية والثقافية الجارفة .

ولاشك أن كتاب "المثل السائر" لابن الأثير يعد واحداً من أهم مصادر التراث النقدي والبلاغي، وأنه تضمن كثيراً من الآراء النقدية الواعية، التي أفاد منها كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين، وبنوا عليها - مع ما استنبطوه من مصادر التراث الأخرى - كثيراً من أفكارهم وأسهم النقدية .

على أنني أركز في تناولي للفكر النقدي عند ابن الأثير في مثله السائر على ما يتصل بقضايا النقد الأدبي الحديث، أو بعبارة أخرى سأحاول قراءة هذا الفكر في ضوء خلفية نقدية حديثة عصرية .

ولم أعتز - فيما اطلعت عليه - على دراسة نقدية واحدة تناولت "المثل السائر" لابن الأثير من هذه الزاوية تناولاً شاملاً، حيث انصبت جهود أكثر المعنيين بالتراث من الحدائين والأسلوبيين على كتابات

عبد القاهر الجرجانى وحازم القرطاجنى ، ولم يأخذ ابن الأثير حظه فى دراسات النقاد المحدثين والمعاصرين إلا فى مواطن متفرقة .

ولعل أهم ما كتب حول نقد ابن الأثير هو رسالة العالمية " الدكتوراه " لمحمد زغلول سلام، وموضوعها " ضياء الدين بن الأثير وجهوده فى النقد " ، لكنها - بالطبع - لم تقتصر على " المثل السائر " ، إنما تناولت كل جهود ابن الأثير النقدية، وكان " المثل السائر " أحد محاورها، وكان الباحث ما يزال فى بداية حياته العلمية فلم يبرز أثر الفكر النقدي عند ابن الأثير فى النقد الحديث ، وجاء تناوله له أقرب إلى الدراسات التقليدية منه إلى الدراسات الحديثة أو العصرية .

وبعد قراءة متأنية لـ " المثل السائر " رأيت أن أجعل دراستى له فى تمهيد وثلاثة فصول على النحو التالى :

أما التمهيد : فيتناول التعريف بابن الأثير وكتابه " المثل السائر " .
وأما الفصل الأول : فيتناول نظرة ابن الأثير إلى اللفظة المفردة،
ويأتى فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قيمة اللفظة المفردة .

المبحث الثاني : المستوى الصوتي للفظة المفردة .

المبحث الثالث : المستوى الدلالي للفظة المفردة .

وأما الفصل الثاني : فيتناول نظرة ابن الأثير إلى الجملة والسياق ،

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نظرتة إلى الجملة .

المبحث الثاني : نظرتة إلى السياق .

وأما الفصل الثالث : فيتناول رأيه في بعض القضايا النقدية الأخرى ،

وفيه تحدثت عن رأيه في قضايا : الذوق الأدبي ، والطبع والصنعة ،

والبديع ، والتماسك النصي ، والسرقات الأدبية ، والقديم والمحدث ،

والعدول والانحراف .

ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث ، ثم فهرس المصادر

والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

فإن كنت قد وفقت ، فذلك فضل الله تعالى ، وإن كانت الأخرى

فحسبي أني حاولت واجتهدت ، لم آل جهداً أو أدخر وسعاً . والله من وراء

القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ. د/ محمد مختار جمعة مبروك

تمهيد

أ. التعريف بابن الأثير:

هو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، المعروف بضياء الدين بن الأثير^(١). ولقبه " ضياء الدين " يميزه عن أخويه : أبي السعادات مجد الدين ابن الأثير صاحب كتاب " النهاية في غريب الحديث والأثر " المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وأبي الحسن عز الدين بن الأثير صاحب كتاب " الكامل في

(١) راجع في ترجمته وأخباره: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٩- تحقيق إحسان عباس - ط/ دار صادر - بيروت - سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م. ومراة الجنان للياقعي ج ٤ ص ٩٧- نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت - سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، وبغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ٣١٥- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط/ دار الفكر - سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، وشذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ص ١٨٧- ط/ دار الفكر - بيروت - سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، والأعلام للزركلي ج ٨ ص ٣٥٤- ط/ دار العلم - بيروت - سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، وضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٣٢ وما بعدها - ط/ دار المعارف - سنة ١٩٨١م (سلسلة نوابغ الفكر) .

التاريخ " المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، وكانوا جميعاً من العلماء المعدودين ، كل في ميدانه ^(١) .

ولد ضياء الدين في جزيرة ابن عمر الواقعة شمال الموصل سنة ٥٥٨هـ، ونشأ في بيت عز ومجد ، حيث كان والده أبو الكرم محمد الملقب بـ " أثير الدين " مقرباً من آل زنكى ، وواه قطب الدين بن زنكى على جزيرة ابن عمر ، ثم جعله صاحب خزانته بالموصل .

وقد أعد أثير الدين أولاده إعداداً أهلهم - فيما بعد - للكتابة والولاية والوزارة ^(٢) ، وحين انتقل من جزيرة ابن عمر إلى الموصل انتقل معه أبناؤه، وبها أتم ضياء الدين تعليمه، فحفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من أحاديث النبي ﷺ، وكثيراً من أشعار القدماء والمحدثين، فحفظ شعر أبي تمام والبحترى والمتنبي ، وجانباً كبيراً من أشعار غيرهم ، ودرس النحو

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١١٠ - تحقيق محمد عبد العزيز النجار - نشر دار الغد العربي - سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ومقدمة كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " ، تحقيق أحمد الحوفي ويدي طيانة ص ٢٧ - ط / نهضة مصر - بدون تاريخ .

(٢) انظر : نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٣٠٣ - ط / دار الطباعة المعجبية - سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

واللغة والبيان^(١)، مما أسهم في صقل موهبته ، وقدرته على التصرف في وجوه المعاني ، وحل المنظوم، والاستعانة به في كتابته ونثره .
وفي سنة ٥٨٢هـ اتصل ضياء الدين بالقاضي الفاضل، فوصله الفاضل في شهر جمادى الآخرة من هذه السنة بخدمة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فأقام في خدمته إلى شهر شوال من السنة نفسها، ثم طلبه الأفضل بن صلاح الدين من والده، فخيره صلاح الدين بين الإقامة عنده والانتقال إلى ولده الملك الأفضل نور الدين ، فاختر الانتقال إلى نور الدين الذي قربه منه، واتخذه وزيراً له، فلما توفي صلاح الدين واستقل الأفضل بحكم دمشق ألقى بكثير من أمور الدولة إلى وزيره ضياء الدين ، لكن الأفضل لم يسر على نهج والده في الحزم وسداد الرأي، وكان وزيره ضياء الدين شديد الاعتداد بنفسه، مستعلياً على أهل مملكته، ولم يحسن معاملتهم، فضجروا من سياسته، وثاروا عليه وعلى ملكه الأفضل ، ووقفوا إلى جانب العزيز عثمان بن صلاح الدين وعمه الملك العادل، وأعانوهما على انتزاع دمشق من الملك الأفضل ، واضطر الأفضل إلى الصلح، وأن ينتقل

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٩، وبغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ٣٥٥.

من ملك دمشق والشام إلى ولاية صغيرة في صرخد^(١)، فخرج ابن الأثير متخفياً خوفاً على حياته، ولحق بالأفضل في صرخد^(٢).

وبضياح دمشق من يد الأفضل وخروجه إلى صرخد، وهروب ابن الأثير للحاق به، تنتهي إلى حد كبير أطماع ابن الأثير السياسية وآماله الكبيرة التي كان يبنها لنفسه كرجل دولة له شأنه^(٣).

وأخذت الأيام تتقلب بابن الأثير، فعندما خرج الملك الأفضل من صرخد إلى مصر لحق ابن الأثير به، ثم ترك الأفضل مصر عائداً إلى الشام، فخرج ابن الأثير من مصر مستتراً خوفاً على نفسه من جماعة كانوا يتربصون به، ولحق بالأفضل في الشام وأقام في صحبته من سنة ٥٩٦هـ إلى سنة ٦٠٧هـ، وكان نجم الأفضل آنذاك آخذاً في الأفول، فانتقل ابن الأثير إلى خدمة الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب، فلم يطل

(١) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . انظر: معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٠١ - ط/ دار صادر - بيروت - سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

(٢) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩٠، وضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٣٧ - ٣٩، ومقدمة المثل السائر لأحمد الحوفي وبيوى طبانة ص ٢٧، ٢٨.

(٣) ضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٣٩.

مقامه عنده، فعاد إلى الموصل والتحق بخدمة أميرها عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه، ثم بخدمة ولده ناصر الدين محمود، ثم بدر الدين لؤلؤ الذي كان وصياً على ناصر الدين محمود، وملكاً للموصل من بعده^(١).

وقد ظل ضياء الدين بن الأثير طوال تسعة عشر عاماً - وهي الفترة الأخيرة من حياته - مستقراً بالموصل بعد طول أسفاره شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، سعيًا وراء الجاه والمجد والغنى، وفي هذه الفترة تفرغ ابن الأثير للأدب والنقد قراءة وكتابة وتعليمًا^(٢).

وكما حفلت حياة ابن الأثير بالسعي وراء الجاه والمجد، حفلت كذلك بالعلم والأدب، والتدريس والتصنيف، فترك لنا ثروة نفيسة من المصنفات الأدبية والنقدية، من أهمها^(٣):

(١) راجع: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩٠، ٣٩١، والمثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير - د/ بدوى طبانة ص ١٢، ١٣ - ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٦٦م، وضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٤١ - ٤٤.

(٢) انظر: ضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٤٤.

(٣) انظر في ذكر مصنفاته: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩١، ٣٩٢، ومرآة الجنان لليافعي ج ٤ ص ٩٨، وبغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ٣١٥، والأعلام للزركلي ج ٨ ص ٣٥٤، ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٣٠٥، ٣٠٦، والمثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير - د/ بدوى طبانة ص ١٤.

- ١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.
 - ٢- الوشى المرقوم في حل المنظوم .
 - ٣- الاستدراك على المآخذ الكندية من المعانى الطائية .
 - ٤- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور.
 - ٥- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب،
 - ٦- المعانى المخترعة في صناعة الإنشاء.
 - ٧- رسائل ضياء الدين بن الأثير.
- وغير ذلك من المؤلفات، مما يدل على غزارة علمه، وسعة أفقه، وطول باعه في الأدب ونقده.
- غير أن أكثر الكتاب يأخذون عليه إفراطه في الاعتداد بنفسه، وإعجابه الشديد بإنشائه وآرائه واستنتاجاته، وتطاوله على الآخرين، ومحاولته الغض من شأنهم، في سبيل إظهار تفوقه عليهم وتفردده من بينهم^(١).

(١) راجع في ذلك : البيان العربى - د/ بدوى طبانة ص ٢٧١- نشر مكتبة الأنجلو المصرية - سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م- الطبعة السادسة ، ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٣٠٤ ، والبلاغة تطور وتاريخ - د/ شوقى ضيف ص ٣٢٤- ط/ دار المعارف - مصر - سنة ١٩٩٥م، والصور البديعية بين النظرية والتطبيق - د/ حفى محمد شرف - القسم الأول ص ٢٧٦ ، ٢٧٧- ط / مطبعة الرسالة - نشر مكتبة الشباب بالمنيرة - سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

ومع تأكيدى على أن العالم الكبير ينبغي أن يكون صاحب خلق رفيع، وعلى أن النقد ينبغي أن يكون موضوعياً، وحيادياً، ومنصفاً، فإننى أشير إلى أمرين :

١- أننا وإن أنكرنا على ابن الأثير إعجابه الشديد بنفسه، وتطاوله على الآخرين، فإن ذلك لا يعنى انتقاص مكانته العلمية أو النيل منه.

٢- أننا ينبغي أن نفرق بين خلق الناقد وعلمه، فنعمل على الإفادة من آرائه النقدية الواعية، ونطرح جانباً تلك الآراء التى نرى أنها جاءت نتيجة الميل أو الهوى، وهذا من أهم شروط القراءة العصرية التى تعمل على تنقية التراث وإعادة كتابته بما يتناسب وروح العصر الذى نعيش فيه. وكانت وفاة ضياء الدين بن الأثير سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد، وكان قد توجه إليها برسالة من صاحب الموصل فوافته منيته بها^(١).

ب- " المثل السائر " وقيمته العلمية :

اقتترنت شهرة ضياء الدين بن الأثير بشهرة كتابه " المثل السائر " وذيوع صيته فى الآفاق ، حتى غطى هذا الكتاب على سائر مصنفاته من

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩٦.

جهة ، وعلى مكانته وحياته السياسية من جهة أخرى ، فمتى ذكر ضياء الدين بن الأثير ذكر كتابه " المثل السائر " ، ومتى ذكر الكتاب ذكر صاحبه (١).

يقول ابن خلكان : ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله كتابه الذى سماه " المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر " ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه (٢).

وقد نقل اليافعى فى " مرآة الجنان " كلام ابن خلكان ، وأشاد بالكتاب (٣) ، وأشار السيوطى وغيره إلى شهرة الكتاب ومكانته (٤).

(١) انظر : المثل السائر فى أدب الكاتب لابن الأثير - د/ بدوى طبانة ص ١٦ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩١ .

(٣) انظر : مرآة الجنان لليافعى ج ٤ ص ٩٨ .

(٤) انظر : بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٣١٥ ، ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د / محمد السعدى فرهود ص ٣٠٦ ، ومقدمة المثل السائر لأحمد الحوفى وبدوى طبانة ص ١٧ ، والصور البيديعية بين النظرية والتطبيق - د/ حفىنى محمد شرف . القسم الأول ص ٢٧٨ .

وقد تهيأت لهذا الكتاب عوامل وظروف مواتية جعلت منه كتاباً متميزاً بين مؤلفات ابن الأثير من جهة ، وبين كتب الأدب والنقد من جهة أخرى ، نذكر منها :

١- أن ابن الأثير ألف هذا الكتاب بعد أن وصل إلى قمة مجده وذروة نضجه الأدبي في أخريات حياته ، فجاء خلاصة تجربة أدبية ونقدية وبلاغية طويلة ، يقول د/ محمد زغلول سلام : ويغلب على الظن أنه آخر ما ألف ابن الأثير من الكتب ، أو ربما سبق كتاب الاستدراك، فقد ذكر في بعض نسخه أنه فرغ من تأليفه يوم السبت الحادى والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٦٢٢هـ^(١)، وهو - آنذاك - فى الخامسة والستين من عمره.

٢- أنه كتب هذا الكتاب - على الأرجح - فى أوائل القرن السابع الهجرى بعد ازدهار البحوث البيانية ونضجها ، واختلاف مناهج البحث ، وتعدد الآراء فى البيان ، وبروز كثير من النظريات والمؤلفات الأدبية

(١) ضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٥١ .

والنقدية^(١)، وكان ابن الأثير واسع الثقافة والاطلاع على مصنفات من سبقوه، مما كان له أثر واضح في عرضه ودراسته ومناقشته للقضايا النقدية التي تناولها في هذا الكتاب .

٣- أن ابن الأثير كان من الكتاب المعدودين في دولة الأيوبيين، وقد هيأت له مكانته الأدبية والسياسية أن يتصل بكبار علماء وكتاب دولة صلاح الدين الأيوبي من أمثال : القاضي الفاضل ، وعماد الدين الأصفهاني، وغيرهما^(٢).

وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله، فإذا أنشأ الفاضل رسالة أنشأ ابن الأثير مثلها، وكانت بينهما مكاتبات^(٣).

وقد أسهم ذلك في صقل ملكته الأدبية، ونضوج حسه النقدي.

(١) انظر : البيان العربي د/ بدوى طبانة ص ٢٦٩ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير لمجد زغلول سلام ص ٣٩ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٩٦ .

وبنى ابن الأثير هذا الكتاب على مقدمة ومقالتين :
أما المقدمة : فجاءت في أصول علم البيان الذي يتسع مفهومه عند
ابن الأثير ليشمل علوم البلاغة الثلاث : المعاني والبيان والبديع .
وأما المقالتان : فتناولت أولاهما الصناعة اللفظية، وتناولت الأخرى
الصناعة المعنوية، وفي ختامها تحدث باستفاضة عن موضوع السرقات
الأدبية.

وفي ثنايا ذلك كله يعرض ابن الأثير وجهة نظره في القضايا الأدبية
والنقدية، وفي كثير من النصوص التي يعرضها أو يحللها أو يناقشها،
مما جعل كتابه أقرب إلى النقد التطبيقي الذي يمتزج فيه الأدب بالنقد
منه إلى التعميد والتنظير الجاف الذي يعنى بالقواعد والنظريات
أكثر من عنايته بالنص نفسه، وهو ما جعل من هذا الكتاب مجالاً خصباً،
ومفتاحاً لكثير من الدراسات والمقاربات النقدية في العصر الحديث .

الفصل الأول

نظرة ابن الأثير إلى اللفظة المفردة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قيمة اللفظة المفردة .

المبحث الثاني : المستوى الصوتي للفظ المفردة .

المبحث الثالث : المستوى الدلالي للفظ المفردة .

المبحث الأول

قيمة اللفظة المفردة عند ابن الأثير

يرى ابن الأثير أن صاحب الصناعة يحتاج إلى ثلاثة أشياء^(١):

١- اختيار الألفاظ المفردة.

٢- نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها .

٣- الغرض المقصود من الكلام على اختلاف أنواعه، وهو ما يعبر عنه

بالمقام .

فأول الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها الأدب عنده إنما هو اللفظة

المفردة، " وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ، فإنها تتخير وتنتقى قبل

النظم " ^(٢).

يقول : الألفاظ داخله في حيز الأصوات ، فما يستلذه السمع منها

ويميل إليه هو الحسن، وما يكرهه وينفر منه هو القبيح، ألا ترى أن السمع

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه .

يستلذ صوت البلبل ويميل إليه ، ويكره صوت الغراب وينفر منه؟ وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك في سهيل الفرس؟ والألفاظ جارية هذا المجرى ، فإنه لا خلاف في أن لفظة " المزنة " و" الديمة " حسنة يستلذها السمع ، وأن لفظة " البعاق " قبيحة يكرهها السمع ، وهذه الألفاظ الثلاثة من صفة المطر ، وهي تدل على معنى واحد^(١).

ولا يقف ابن الأثير في نظرتة إلى اللفظة المفردة عند هذا الحد ، بل إنه لينحى باللائمة على من ينكرون التفاضل بين الألفاظ ، ويصفهم بالجهلة ، فيقول : وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم : إن هذه اللفظة حسنة ، وهذه قبيحة أنكروا ذلك ، وقال : كل الألفاظ حسن والواضع لم يضع إلا حسناً ، ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة " الغصن " ولفظة " العسلوج " ، وبين لفظة " المدامة " ولفظة " الإسفنت " ، وبين لفظة " السيف " ولفظة " الخنشليل " ، وبين لفظة " الأسد " ولفظة " الفدوكس " ، فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب ، بل يترك وشأنه ، وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد ، شوهاء

(١) المثل السائر : ق ١ ص ٩١ .

الخلق، ذات عين محمرة ، وشفة غليظة ، وشعر ققط^(١) ، وبين صورة رومية
بيضاء البشرة ، مشربة بحمرة ، ذات خد أسيل^(٢) ، وطرف كحيل ، ومبسم
كأنما نظم من أقاح^(٣) ، وطره^(٤) كأنها ليل على صباح.

فإذا كان بإنسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وتلك
فلا يبعد أن يكون من سقم النظر أن يسوى بين هذه الألفاظ وتلك^(٥).

وهنا ينبغي أن نؤكد على أمور :

١- أن اهتمام ابن الأثير باللفظة المفردة لا يأتي على حساب
التركيب أو السياق ، فاختيار المفردة ما هو إلا مقدمة لنظمها مع أختها
المشكلة لها ، ووضعها الموضع الذي يتطلبه الموقف والسياق.

(١) شعر ققط : شديد التجعد.

(٢) الأسيل من الخدود : الطويل المسترسل.

(٣) أقاح : جمع أقحوان، وهو نبت طيب الرائحة لونه أبيض تشبه به الأسنان في صفائها .

(٤) الطرة : الناصية .

(٥) المثل السائر : ق ١ ص ١٧٠.

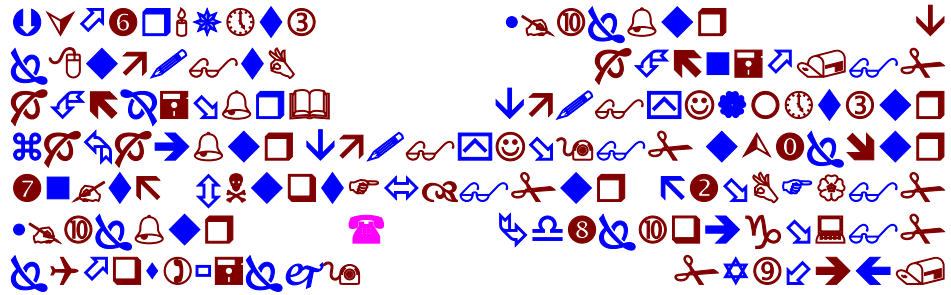
٢- تبنى كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين رأى ابن الأثير في نظريته الشاملة للكلمة والسياق معاً^(١)، يقول د/ أحمد ياسوف : إن اختيار اللغة يبدأ من اختيار المادة ثم الصيغة ، وهذا مبدأ ابن سنان وابن الأثير، إذ يبدأ جمال اللغة في كتابيهما " سر الفصاحة " و " المثل السائر " بباب طويل السرد والشرح عن جمال المفردة، يليه باب جمال النظم، وتبعهما رجال البلاغة في ذلك^(٢).

فالكلمة هي اللبنة المستخدمة في البناء اللغوي ، وهي تصافح حاسة السمع قبل أن تطرق باب المشاعر ، ومن هنا كان الاهتمام بجمال صوت الكلمة – أى صورتها الأولى – قديم قدم الأدب العربي.

(١) انظر : جماليات المفردة القرآنية - د/ أحمد ياسوف ص ٤٤ (رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة حلب)
- ط / دار المكتبي - دمشق - سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م - الطبعة الثانية ، وجدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم - د / محمد عبد المطلب ص ٨٤ وما بعدها - نشر شركة أبي الهول - القاهرة - سنة ١٩٩٥ م.
(٢) انظر : جماليات المفردة القرآنية . د / أحمد ياسوف ص ٢٩ .

وقد اهتم الشعر الحديث اهتماماً واضحاً بالموسيقى الداخلية المتوخاة في طيات الكلمات، والأديب البارع من يوظف تلك القيمة الصوتية في رسم المعانى ويشخصها للمتلقى^(١).

ويؤكد بعض النقاد أن لجرس الألفاظ وقعاً إيجابياً كثيراً ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد إحساسه^(٢)، وينظر بعضهم إلى دلالة الكلمة، فيرى أن دلالة اللفظ لا تقل شأنًا عن إسناده، يعقب أستاذنا الدكتور/ محمد رجب البيومي على كلام عبد القاهر في الحديث عن قوله تعالى :



↑^(٣)، فيقول : إن اختيار لفظ : "البلع " دون الشرب ، وكلمة " أقلعى " دون امنعى ، وفعل "قضى"

(١) انظر : المرجع السابق ص ٣١.

(٢) انظر : فى الميزان الجديد د/ محمد مندور ص ١٨٦ - ط / نهضة مصر - سنة ١٩٧٧م.

(٣) سورة هود : الآية ٤٤ .

المبنى للمجهول دون نفذ المبنى للمجهول أيضاً، و" استوت على الجودى " دون استقرت ، كل ذلك مما يرتفع بالآية إلى الإعجاز ، وهو فى صميمه راجع فيما يرجع إليه إلى اللفظ دون الإسناد^(١).

ويقول د/ محمد سعيد البوطى : رأيت أنه لم يقل : جفى ماءك مثلاً ، مع أنه التعبير المتفق مع طبيعة الأرض وشأنها ، وإنما قال : ↓
↑ ليصور لك أن الأرض كما اتجهت إليها إرادة العزيز الخبير انقلبت مسامها وشقوقها إلى أفواه فاغرة تبتلع بها المياه ابتلاعاً، فهي لم تنفذ الأمر بالطبيعة المألوفة لها وإنما بالانقياد لأمر خالقها جل جلاله^(٢).

وقد نظر ابن الأثير إلى المفردة على أنها جزء لا يتجزأ من النظم ، واعترف بجمال الطرفين معاً^(٣)، وأعطى كلاً منهما حقه من الدراسة ، وهو

(١) انظر : جماليات المفردة القرآنية - د/ أحمد ياسوف ص ٥٠ ، نقلا عن خطوات فى التفسير البيانى للدكتور / محمد رجب البيومى ص ٢٢٥- ط / دار النصر - القاهرة . سنة ١٩٧١م.
(٢) انظر : من روائع اقرآن - د/ محمد سعيد البوطى ص ٢٦٩- ط / دار الفارابى - دمشق - سنة ١٩٧٠م.
(٣) انظر : جماليات المفردة القرآنية - د / أحمد ياسوف ص ٥٤.

ما تؤكد الدراسات الحديثة والعصرية التي تدرس النص بكل مستوياته
الإفرادية والتركيبية دون أن يطغى أحدهما على الآخر^(١).

(١) راجع في ذلك: جدلية الإفراد والتركيب لمحمد عبد المطلب ص ٨٩ وما بعدها، ص ١٣٣ وما بعدها ، والبلاغة
الأسلوبية للمؤلف نفسه ص ٣٠٥ وما بعدها ، نشر شركة أبي الهول بالقاهرة (سلسلة أدبيات) ، ودلالة السياق
د/ ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ص ٢٠٣-٢٠٥ - ط/ جامعة أم القرى - سنة ١٤٢٤هـ ، والأسلوبية
وثلاثية الدوائر البلاغية د / عبد القادر عبد الجليل ص ٢١١ وما بعدها - نشر دار صفاء للنشر والتوزيع -
عمان - الأردن . سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

المبحث الثانى

المستوى الصوتى للفظة المفردة عند ابن الأثير

اهتم النقاد القدماء بأساسين صوتيين : أحدهما يتصل بالمخرج ،
والآخر يتصل بعدد حروف الكلمة ، أى أن أحدهما يتصل بالكيف والآخر
يتصل بالكم الصوتى المنطوق^(١).

أ - التلاؤم الصوتى :

أما الجانب الأول الذى يتصل بمخارج الحروف ، فقد عبروا عنه
بالتلاؤم ، وهو تعديل الحروف فى التأليف ، ويظهر ذلك بسهولة الألفاظ
على اللسان ، وحسنها فى الأسماع ، وتقبلها فى الطباع^(٢).

فإن لم تكن الألفاظ على هذه الصفة دخلت فى باب التنافر ، غير
أنهم اختلفوا فى الجهة التى يأتى منها التنافر إلى اللفظة المفردة

(١) انظر : جدلية الإفراد والتركيب لمجد عبد المطالب ص ٨٩.

(٢) انظر : النكت فى إعجاز القرآن للرمانى (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد
القاهر) ص ٩٤-٩٦ - تحقيق مجد خلف الله أحمد ومجد زغلول سلام - ط / دار المعارف - مصر - سنة
١٩٩١م - الطبعة الرابعة.

أو الألفاظ المركبة ، فالرمانى ينقل عن الخليل بن أحمد أن مرد هذا التنافر هو البعد الشديد أو القرب الشديد لمخارج الحروف ، " وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال " (١).

ثم جاء ابن سنان الخفاجى فاشتراط فى اللفظة أن تكون مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ، وعلة ذلك عنده " هى أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، لقرب ما بينه وبين الأصفر ، وبعد ما بينه وبين الأسود " (٢).

ثم جاء ابن الأثير فاحتكم فى ذلك إلى الذوق السليم ، فهو يرى أن حاسة السمع هى الحاكمة فى هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ ،

(١) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٦٤ - ط / دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

وقبح ما يقبح، وأن قاعدة ابن سنان في اعتماد تباعد المخارج شرطاً من شروط فصاحة الكلمة قد شذ عنها شواذ كثيرة، لأنه قد يجيء في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق، وقد يأتي من المتباعد المخارج شيء قبيح^(١).

يقول: ألا ترى أن الجيم والشين والباء مخارج متقاربة، وهي من وسط اللسان بينه وبين الحنك، وتسمى ثلاثتها "الشجرية"، وإذا تركب منها شيء من الألفاظ جاء حسناً رائقاً، فإن قيل: "جيش" كانت لفظة محمودة، أو قدمت الشين على الجيم فقيل: "شجي" كانت أيضاً لفظة محمودة، ومما هو أقرب مخرجاً من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة، وتسمى "الشفهية"، فإذا نظم منها شيء من الألفاظ كان جميلاً حسناً، كقولنا: "فم" فهذه اللفظة من حرفين هما: الفاء والميم، وكقولنا: ذقته "بغمي"، وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجملتها، وكلاهما حسن لا عيب فيه.

(١) المثل السائر: ق ١ ص ١٧٣، ١٧٤.

وقد يكون القبح مع التباعد، فمن ذلك أنه يقال: "ملع" إذا عدا، فالميم من الشفة، والعين من حروف الحلق، واللام من وسط اللسان، وكل ذلك متباعد، ومع هذا فإن هذه اللفظة مكروهة في الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم، ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة.

وهنا نكتة غريبة، وهو أننا إذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت "علم" وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد على حسنها.

وما ندري كيف صار القبح حسناً، لأنه لم يتغير من مخارجها شيء، وذلك أن اللام لم تزل وسطاً، والميم والعين يكتنفانها من جانبيها، ولو كانت مخارج الحروف معتبرة في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في "ملع" و"علم" ^(١).

وما ذهب إليه ابن الأثير من الاعتماد على الذوق تابعه فيه العلوى في كتابه "الطراز"، فأكد أن التنافر لا يرجع إلى تقارب مخارج الحروف

(١) المثل السائر: ق ١ ص ١٧٣، ١٧٤.

أو تباعدها كما زعم ابن سنان وغيره ، إنما مرجعه هو الذوق السليم والطبع المستقيم، ونقل أكثر كلام ابن الأثير في ذلك^(١).

ثم جاء الشيخ عبد المتعال الصعيدي فتابع العلوي في الانتصار لابن الأثير والرد على ابن سنان، لكنه لم يطلق العنان للذوق ، فدعا إلى الإفادة من ضوابط علم اللغة والاستئناس بها لتكون معياراً واضحاً أمام الذوق السليم، يقول : ذهب ابن الأثير إلى أن المعول في ذلك على الذوق الصحيح، فما يعده ثقيلاً عسر النطق فهو متنافر، سواء أكان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها أم من غيرهما، وذكر ابن سنان أن قرب المخارج يكون سبباً في قبح اللفظ ، وبعدها يكون سبباً في حسنه، وذلك غير صحيح ، لأن الكلمتين قد تتركبان من حروف واحدة وتكون إحداهما ثقيلة دون الأخرى، ومع ذلك لا يمكن إنكار ما لمخارج الحروف وصفاتها

(١) انظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ص ٥٤ -مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين- ط / دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م - الطبعة الأولى .

وهيئة تأليفها من الأثر في خفة الكلمة وثقلها^(١)، وإن كان المرجع في النهاية إلى حكم الذوق السليم.

ومع وجاهة ما ذهب إليه ابن الأثير فإننا ينبغي أن ننظر بعين الاعتبار إلى رأى ابن سنان وقواعده العلمية، وأن نجعل منها معياراً إرشادياً أمام الذوق، وإن كنا لا نفرض هذا المعيار على الذوق، وهو ما يؤكد أحد الباحثين المعاصرين بقوله: إن النقد الحديث يعترف بشكل جزئي بنظرة ابن سنان ، إلا أنه يقدم مقياس الذوق السمعي كما هو الحال عند ابن الأثير^(٢).

ب. الكم الصوتى :

وهو ما يتصل بعدد حروف الكلمة ، فقد تعقب ابن الأثير ابن سنان فيما اشترطه لفصاحة الكلمة من أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف، وأن

(١) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعدي ج ١ ص ١٢ . نشر مكتبة الآداب - القاهرة - بدون تاريخ .

(٢) انظر : جماليات المفردة القرآنية - د / أحمد ياسوف ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

تكون هاتان اللفظتان حسنتين لقصرهما، واللفظتان الواردتان في القرآن الكريم قبيحتين لطولهما، وأنت ترى الأمر بالضد مما ذكره^(١). فليست العبرة بطول الكلمة أو قصرها، وإنما بنظم تأليف الحروف بعضها مع بعض، فيجب تجنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة أم قصيرة، ومثال ذلك قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل
فلفظه "مستشزرات" مما يقبح استعمالها، لأنها تثقل على اللسان، ويشق النطق بها، والأمر ليس متعلقاً بطولها، لأننا لو قلنا: "مستنكرات" أو "مستنفرات" لما كان في هاتين اللفظتين ثقل ولا كراهة، وهما في وزنهما وعدد حروفهما.

وليس الأمر كذلك فحسب، فإننا لو حذفنا منها الألف والتاء، وقلنا: "مستشزر"، لكان ذلك ثقيلًا، وسببه أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي، فثقل

(١) المثل السائر: ق ١ ص ٢٠٤، ٢٠٥.

النطق بها، وإلا فلو جعلنا عوضًا من الزاي راء ، ومن الراء فاء، فقلنا:
"مستشرق" لزال ذلك الثقل^(١).

وما ذهب إليه ابن الأثير في هذا الشأن يؤيده كثير من النقاد المحدثين، حيث يقرر بعضهم أن العبرة ليست في كثرة الحروف، بل في نوعية هذه الحروف^(٢)، ويؤكد بعضهم أن الطول - في حد ذاته - لا يستوجب ثقلًا، بدليل مجيء كثير من الألفاظ الكثيرة الحروف في النماذج الأدبية الجيدة، بل مجيئها في القرآن الكريم أيضًا، ولا نستشعر في بنيتها ثقلًا^(٣).

وإني لأميل إلى ما ذهب إليه ابن الأثير من أن الأمر مرده في النهاية إلى الذوق السليم، وأن الطول وحده ليس مدعاة للقبح أو الثقل ، غير أنني أؤكد أن طول الكلمة يمكن أن يكون مؤشراً أمام الذوق ينبغى النظر إليه بعين الاعتبار عند دراسة فصاحة الكلمة.

(١) المثل السائر: ق ١ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) انظر: جماليات المفردة القرآنية - د/ أحمد ياسوف ١٨٩.

(٣) انظر: جدلية الإفراد والتركيب لعبد المطلب ص ٩٧.

المبحث الثالث

المستوى الدلالي للفظة المفردة عند ابن الأثير

ويتصل هذا المستوى بقدرة المبدع على انتقاء واختيار ألفاظه على أساس دلالتها التي تمتد عند التركيب إلى غيرهما من الدلالات ، لتصنع الإطار الدلالي المركب^(١)، فالنظرة إلى المفردة هنا لا تكون من جهة بنيتها الصوتية، إنما تكون من جهة ما تحمله من دلالة أو دلالات.

وقد حاول النقاد القدامى رصد بعض الجوانب التي تتصل بالبعد الدلالي للكلمة، فاشتروا ألا تكون الكلمة وحشية، وألا تكون عامية مبتذلة، ونظر بعضهم إلى تطورها الدلالي بعين الاعتبار ، وكان لابن الأثير رؤية واضحة في هذه الجوانب .

رأى ابن الأثير في الوحشى :

يقول : وقد خفى الوحشى على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر، وظنوه المستقبح من الألفاظ، وليس كذلك، بل الوحشى ينقسم قسمين: أحدهما غريب حسن ، والآخر غريب قبيح.

(١) انظر : جدلية الإفراد والتركيب لعبد المطلب ص ١٠١ .

وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأيسر ، وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال ، وليس من شرط الوحشى أن يكون مستقبلاً ، بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنس ، فتارة يكون حسنًا ، وتارة يكون قبيحًا^(١).

وقسم ابن الأثير اللفظ ثلاثة أقسام^(٢):

- ١- ما تداول استعماله الأول والآخر، وهذا هو المؤلف المتداول، وهو أحسن الألفاظ ، لأنه لم يكن مؤلفًا متداولًا إلا لمكان حسنه، وهذا لا ينعت بوحشية أو حوشية.
- ٢- ما تداول استعماله الأول دون الآخر، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذى لا يعاب استعماله عند العرب الأوائل ، لأنه لم يكن عندهم وحشيًا، وهو عندنا وحشى.
- ٣- ما يقل استعماله، ويكون ثقيلًا على السمع، كريهًا على الذوق ، ويسمى " الوحشى الغليظ " ، ويسمى أيضًا " المتوعر " ، وليس وراءه فى

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٧٥ ، ١٧٦.

(٢) المثل السائر : ق ١ ص ١٧٦-١٨٠.

القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً.

ومن هذا "الوحشى الغليظ" قول تأبط شراً^(١):

يظل بمومةا ويُمسى بغيره جحيشاً ويعرورى ظهور المهالك^(٢).

فإن لفظة "جحيش" من الألفاظ المنكرة القبيحة، وهى بمعنى فريد، وفريد لفظة حسنة رائقة، ولو وضعت فى هذا البيت موضع "جحيش" لما احتل شيء من وزنه.

وأغلظ من هذا قول المتنبي^(٣):

جَفَخَتْ - وهم لا يجفخون بها - بهم

شيم على الحسب الأغر دلائل^(٤)

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٨١.

(٢) المومة : المفازة التى لا ماء فيها، والجحيش : المنفرد ، يعرورى: يرتكب المهالك ، والمعنى أنه كثير الجولان فى الأرض، يخاطر بنفسه لشدة جرأته وحماسته.

(٣) المثل السائر : ق ١١ ص ١٨٢.

(٤) جفخت : فخرت وتكبرت.

فإن لفظة " جفخ " مرة الطعم ، وإذا مرت على السمع اقشعر منها، ومعناها، فخرت ، يقال : جفخ فلان إذا فخر، ولو استعمل أبو الطيب "فخرت" مكان " جفخت " لاستقام وزن البيت ، وحظى في استعماله بالأحسن^(١).

فقد راعى ابن الأثير في نظرتة إلى الغريب ثلاثة أمور لها اعتبارها في ميدان النقد الأدبي، هي :

١- النسبية الزمانية:

وذلك في حديثه عن القسم الثاني من الألفاظ ، وهو ما تداول استعماله الأول دون الآخر، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، فإنه لم يكن غريباً ولا وحشياً عندهم، وإنما صار غريباً وحشياً عندنا ، لبعد زماننا عن زمانهم، ولأثر التحضر في انتقاء اللغة، واختيار الألفاظ، واندثار الغريب الوحشي منها^(٢).

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٨٢.

(٢) المثل السائر : ق ١ ص ١٧٦.

وهذا الملمح قد تنبه إليه النقاد القدماء وتابعهم فيه كثير من النقاد المحدثين ، يقول القاضي الجرجاني: فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة فاقصروا على أسلسها وأشرفها، فإذا رام أحد المتأخرين الإغراب والافتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يريد إلا بأشد تكلف ، وأتم تصنع، ومع التكلف المقت، وللنفس مع التصنع نفرة، وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة، وذهاب الرونق، وإخلاق الديباجة^(١).

ويقول ابن رشيق: ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه ، وكثر استعماله عند أهله^(٢)، وينقل عن أبي محمد الحسن بن علي بن وكيع قوله: ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة

(١) الوساطة للقاضي الجرجاني ص ١٨، ١٩ بتصرف يسير - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد الجاوي - نشر المكتبة العصرية - بيروت - سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

(٢) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٩٣- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- ط / دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ.

الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار، وذكر الوحوش والحشرات ..
ما رويت^(١).

وقد أكد بعض النقاد المحدثين على ضرورة النظر إلى زمن النص
بعين الاعتبار، والحكم عليه في إطار عصره وبيئته^(٢)، وجعل بعضهم الزمان
أحد قوانين الأدب الثلاثة التي تحكم عملية الإبداع، وهي الزمان،
والمكان، والجنس^(٣).

٢. النسبية المكانية :

فالغريب كما يختلف باختلاف الزمان يختلف باختلاف المكان،
فالبدوى لا يلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ، وإنما يلام على
استعمال الغريب القبيح، وأما الحضري فإنه يلام على استعمال القسمين
معاً، وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر^(٤).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٩٢.

(٢) نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٣٥، وكتابه " المذاهب النقدية
بين النظرية والتطبيق " ص ٣ / ط المؤلف سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .

(٣) انظر : فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف ص ٣٨- ط / دار المعارف- سنة ١٩٨٨م.

(٤) انظر : الملل السائر : ق ١ ص ١٨٢، ص ١٩٧.

وقد تأثر ابن الأثير في تفرقة بين البدوي والحضري في استخدام الوحشى من الألفاظ بقول الجاحظ: لا ينبغي أن يكون الكلام غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرايياً، فإن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس^(١).

غير أن ابن الأثير لا يطلق القول بقبول هذا الوحشى من البدوي، إنما يقبل منه استخدام الوحشى الحسن دون الوحشى الغليظ أو المتوعر. وقد نظر كثير من النقاد المحدثين إلى البيئة المكانية بعين الاعتبار فأكدوا أن الأديب يرتبط بمكانة وزمانه ارتباطاً يفرض عليه - أراد أم لم يرد - اللصوق النفسى بهما، ويجعله إذا انفصل عنهما أو انحاز إلى غيرهما غريباً لدى نفسه وغريباً عند من يتذوق شعره^(٢).

(١) انظر: البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٤ - تحقيق عبد السلام هارون - نشر مكتبة الخانجي - سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

(٢) انظر: نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب - لأستاذنا المرحوم د / محمد السعدى فرهود ص ٣٥.

ومن ثمة فعلى الناقد أن يدخل الأوضاع الزمانية والمكانية في
اعتباره عند الحكم على النص^(١).
٣- حسن اللفظة أو قبجها:

لم يقتصر ابن الأثير على مراعاة البعدين الزماني والمكاني، وإنما
أضاف إليهما بعداً هاماً وهو حسن اللفظة أو قبجها بالنظر إلى خفتها
أو ثقلها، واعتد في ذلك بالذوق السليم.

وقد دعا ابن الأثير الناظم إلى تجنب الحروف التي يضيق بها الكلام
في بناء قوافيه كـ " الشاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء
والغين " ، حيث يضطره ذلك إلى الإتيان بالبشع الكريه الذي يمجّه
السمع، كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها^(٢).

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِساتُ عُلُاثًا أَمَسَتْ حِبَالَ قَطِينِهِنَّ رِثَاثًا^(٣)

(١) انظر : اتجاهات النقد الأدبي العربي - أ.د. / محمد السعدى فرهود ص ١٩٩ - ط / دار الطباعة المحمدية -
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، وفي النقد الأدبي - د/ شوقي ضيف ص ٣٥.

(٢) المثل السائر : ق ١ ص ١٩٥، والقصيدة في ديوان أبي تمام ج ١ ص ٣١١ - شرح الخطيب التبريزي -
تحقيق محمد عبده عزام - ط/ دار المعارف - سنة ١٩٧٦ م.

(٣) علاثا : ترخيم علاثة ، والقطين : أهل الدار ، الرثا : جمع رث ، وهو الخلق البالي.

قال ابن المستوفى : وكيف رويت لفظة علاثا فهي رديئة ، ولو أن
علاثة غلامه على الحقيقة لوجب عليه تجنب هذه اللفظة واطراحها
لغرابتها^(١).

ومنه شينية المتنبى التي مطلعها^(٢):

مبيتى من دِمَشقِ على فِرَاشِ حَشاهُ لى بِحَرَ حَشاى حَاشِ
لَقى لَيْلِ كَعينِ الطَّبى لَوًّا وَهَمُّ كَالْحُمَيَّا فى المَشاى^(٣)

وقد راجعت قصيدتى أبى تمام والمتنبى المذكورتين وغيرهما من
القصائد التى تبنى على هذه الحروف ، فرأيت أنها كثيراً ما تضطر الشاعر
إلى استخدام ألفاظ مستكرهة ، كقول أبى تمام فى ثائيته^(٤):

لولا اعتمادك كنتُ ذا مندوحة عن برقعيد وأرضِ باعينا^(٥)

(١) انظر " ديوان أبى تمام - شرح الخطيب التبريزى - تحقيق محمد عبده عزام ج ١ ص ٣١٢ (هامش الصفحة) .

(٢) ديوان أبى الطيب المتنبى ص ٢٢٨ - تحقيق محمد عبده عزام - ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة - سنة ١٩٩٥ م .

(٣) اللقا : هو الرجل الزمن الذى لا حراك به .

(٤) ديوانه ج ١ ص ٣٢١ .

(٥) برقعيد وباعينا : موضعان بالجزيرة .

وقوله في قصيدة جيمية^(١):

ما سرَّ قومكَ أن تَبقى لَهُم أَبَدًا وَأَنْ غَيْرَكَ كَانَ إِسْتَنْزَلَ الكَدَجَا^(٢)
فما اضطرَّ أباً تمام إلى اجتلاب هذه الألفاظ إلا اعتماده رويًا من
الحروف التي يضيق بها الكلام في بناء القوافي، وبخاصة في القصائد
الطوال.

نظرته إلى المبتذل من الألفاظ:

يشترط ابن الأثير لفصاحة الكلمة ألا تكون مبتذلة بين العامة، ويقسم
المبتذل قسمين^(٣):

القسم الأول: ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل
اللغة، فغيرته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر، وهو ضربان:
الضرب الأول: ما يكره ذكره، كقول أبي الطيب:
أذاق العَوَانِي حُسَّهُ ما أَذَقْنِي وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِي عَلَى الصرْم

(١) ديوانه ج ١ ص ٣٣٠.

(٢) الكدج: اسم حصن بأذربيجان، انظر: معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٤٢.

(٣) المثل السائر: ق ١ ص ١٩٦-٢٠١.

فإن معنى لفظة " الصرم " في وضع اللغة هو " القطع " ، يقال : صرمه إذا قطعه، فغيرتها العامة وجعلتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره.

ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها، على أن المكروه هنا هو استخدام هذه اللفظة على صيغة الاسم كما جاءت في البيت، أما إذا استخدمت على صيغة الفعل كقولنا: " صرمة " و" صرمته " فإنها لا تكون كريهة ، لأن استعمال العامة لا يدخل في ذلك^(١).

الضرب الثاني : هو ما وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالاً على غيره، إلا أنه ليس بمستقبح ولا مستكره، كوصفهم الإنسان بالظرف إذا كان دمث الأخلاق، حسن الصورة أو اللباس، أو ما هذا سبيله.

والظرف في أصل اللغة مختص بالنطق، وقد قيل في صفات خلق الإنسان : الصبابة في الوجه، والوضاعة في البشرة، والرشاقة في القد، والظرف في اللسان.

(١) المصدر السابق: ق ١ ص ١٩٧.

والخطأ في ذلك لا يوجب في اللفظة قبْحًا ، لكنه ينم عن جهل
بمعرفة أصلها في وضع اللغة^(١).

القسم الثاني : ما ابتدئته العامة بكثرة تداوله، لكنها لم تغيره عن أصل
وضعه.

يقول : وفي هذا القسم عندي نظر، لأنه إن كان عبارة عما يكثر
تداوله بين العامة فإن من الكثير المتداول بينهم ألفاظاً فصيحة كـ " السماء،
والأرض ، والماء ، والنار ، والحجر ، والطين ، وأشباه ذلك " ، وقد نطق بها
القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وجاءت في كلام الفصحاء نظماً ونثراً.
والذي ترجح في نظري أن المراد بالمبتدل من هذا القسم إنما هو
الألفاظ السخيفة الضعيفة ، سواء تداولتها العامة أم الخاصة ، كلفظة
"اللقاق" في قول المتنبي^(٢):

وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَّبْعِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحُ اللَّقَالِقِ^(٣)

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق : ق ١ ص ١٩٩ ، والبيت في ديوان أبي الطيب ص ٣٨٩ - ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٣) الملمومة : الكتيبة المجتمعة، وسيفية : منسوبة إلى سيف الدولة ، وربعية : منسوبة إلى ربعية قبيلة سيف
الدولة، واللقاق: جمع لقلق ، وهو طائر كبير يسكن العمران في أرض العراق .

وكلمة " الشطار " في قول أبي نواس :
ومُلحَّةٍ بالعذلِ تحسب أننى للعذلِ أتركُ صُحبةَ الشطارِ
وقد استعمل ألفاظ: " الشاطر " ، و" الشاطرة " ، و" الشطار " و" الشطارة "
كثيراً ، وهى من الألفاظ التى ابتدئتها العامة حتى سُمّت من ابتدائها^(١).
ونلاحظ الآتى :

- ١- أن ابن الأثير يراعى التطور الدلالى للكلمة ، ويؤكد بقوة على قضية النسبية فى الحكم على النصوص " بحيث يحتاج الحكم بسقوط اللفظة لعاميتها إلى نوع من التبع لمجالات الاستعمال ذاته مكانياً وزمانياً"^(٢).
- ٢- أن ابن الأثير قد نظر بعين الاعتبار إلى ما قرره من سبقه من النقد من ضرورة ألا يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً، ولا غريباً وحشياً، وهو ما نقله ابن رشيقي عن الجاحظ^(٣)، وأسامة بن منقذ عن أبي

(١) المثل السائر : ق ١ ص ٢٠١.

(٢) جدلية الأفراد والتركيب لمجد عبد المطلب ص ١١٥.

(٣) انظر : العمدة لابن رشيقي ج ١ ص ١٢٣، والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٤٤ .

هلال^(١)، وفصله وبسط القول فيه ابن سنان الخفاجي^(٢)، يقول أسامة نقلا عن أبي هلال: الكلام ثلاثة أصناف: عامي، وخاصي، ووحشي، فالعامي لا يستعمل لركاكة فيه، والوحشي لا يستعمل لجهامته، والخاصي يستعمل لفصاحته وملاحظته، فالعامي مثل قولك: عدلا جمل، والوحشي مثل قولك: صنو جرثومة، والخاصي مثل قولك: فرسا رهان^(٣).
وإن كان لهؤلاء فضل السبق فيحسب لابن الأثير نظرته إلى التطور الدلالي للكلمة، وتأكيدده على مراعاة البعد الزماني والمكاني لاستخدام الألفاظ، وتتبعها في بيئاتها.

(١) انظر: البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ١٦٢ - تحقيق د/ أحمد أحمد بدوي ود/ حامد عبد المجيد - ط/ مصطفى الحلبي - سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، والصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٦٦، ١٦٧ - تحقيق د/ مفيد قميحة - ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
(٢) انظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٦٦، ص ٧٣.
(٣) انظر: البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ١٦٢.

الفصل الثاني

نظرة ابن الأثير إلى الجملة والسياق

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نظرتة إلى الجملة

المبحث الثاني : نظرتة إلى السياق

ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروك في كلام ، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها، فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها^(١).
ويؤكد ابن الأثير أن تركيب الألفاظ يحدث عنه من فوائد التأليف والنظم ما يخيل للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التي كانت مفردة.
ومثال ذلك كمن أخذ لآلي ليست من ذوات القيمة العالية فألفها، وأحسن الوضع في تأليفها، فخيّل للنّاظر بحسن تأليفه وإتقان صنّعه أنّها ليست تلك التي كانت منشورة مبددة.
وفي عكس ذلك من يأخذ لآلي من ذوات القيم العالية فيفسد تأليفها، فإنّه يضع من حسنّها.
وبعقب على ذلك بقوله: وهذا موضع شريف ينبغي الالتفات إليه والعناية به^(٢).

(١) المثل السائر : ق ١ ص ١٦٦، وانظر : دلائل الإعجاز ص ٩١ ، ٩٢ ، وإن كان ابن الأثير يدعى الفضل والسبق في ذلك لنفسه، فيقول : " وهذا موضع غامض يحتاج إلى فضل فكرة وإمعان نظر، وما تعرض للتبنيّه عليه أحد قبلي ". المثل السائر ق ١ ص ١٦٧، وهو ادعاء في غير محله.
(٢) المثل السائر : ق ١ ص ٢٠٩.

وقد عمل ابن الأثير على تأكيد ذلك من خلال نقده التطبيقى وتحليله لكثير من النصوص القرآنية وغيرها من منظوم الكلام ومنثوره^(١).

المبحث الأول

نظرته إلى الجملة

نظر ابن الأثير إلى الجملة على أنها جزء لا يتجزأ من السياق، وأن ما يعترىها من ظواهر أسلوبية إنما يأتى وفق ما يتطلبه هذا السياق. على أن هذه الظواهر الأسلوبية أو السياقية التى درسها البلاغيون القدماء - من أمثال عبد القاهر وابن الأثير وغيرهما - فى مباحث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، وغيرها - قد صارت من أهم محاور الدراسات الأسلوبية

(١) راجع: المصدر السابق: ق ١ ص ١٦٦ وما بعدها، ق ٢ ص ١٣٥ وما بعدها.

الحديثة^(١)، بل إن بعض النقاد المعاصرين يرى أن جهود البلاغيين القدماء - وعلى رأسهم عبد القاهر وابن الأثير - في هذا المجال يمكن وضعها مع أحدث ما تناولته الدراسات الأسلوبية المعاصرة^(٢).

وفيما يلي نماذج لنظرته إلى بعض ما يتعلق بالجملة من ظواهر

أسلوبية :

أ - سياق التقديم والتأخير :

لم يقف ابن الأثير في تناوله لسياق التقديم والتأخير عند النظرة الجزئية التي تتعلق بتقديم الخبر على المبتدأ ، أو المفعول على الفاعل ونحو ذلك، إنما نظر إلى هذا السياق من زاويتين :

الزاوية الأولى : تختص بدلالة الألفاظ على المعانى ، بحيث لو أخرج

المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى^(٣).

(١) انظر : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية د/ عبد القادر عبد الجليل ص ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، والبلاغة والأسلوبية لعبد المطلب ص ٣١٣ وما بعدها ، وجدلية الأفراد والتركيب للمؤلف نفسه ص ١٦٣ وما بعدها .

(٢) انظر : المنهج الأسلوبى فى النقد الأدبى : التطور ، النظرية ، التطبيق - لمديحة جابر السايح ص ٢٢٨ - ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة - سنة ٢٠٠٣ م .

(٣) المثل السائر : ق ٢ ص ١٧٢ .

أدلى على القدرة من الماشى على رجلين، إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى، ثم ذكر الماشى على رجلين، وقدمه على الماشى على أربع، لأنه أدلى على القدرة أيضاً، حيث كثرت آلات المشى فى الأربع^(١).

وفى هذه الرؤية الشاملة لسياق التقديم والتأخير يظهر بعد نظر ابن الأثير وعمق ثقافته، حيث لم يقف فى تناوله لهذا السياق عند ما قرره النحاه والبلاغيون من قبله فى تقديم المسند على المسند إليه، وتقديم بعض متعلقات الفعل، ونحو ذلك مما يتصل بقضيتى الإسناد والتعلق، إنما نظر بعين أوسع ورؤية ثاقبة إلى ما يتعلق ببنية النص وارتباط أجزائه، وما يتطلبه المعنى أو السياق من تقديم أو تأخير.

ب - سياق الإيجاز :

(١) سورة النور : جزء من الآية ٤٥ .

(٢) المثل السائر : ق ٢ ص ١٨٣ .

لا نسقى مواشينا فسقى لهما مواشيهما، لأن الغرض إن يعلم أنه كان من الناس سقى، ومن الامرأتين ذود، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى (عليه السلام) بعد ذلك سقى، فأما كون المسقى غنماً أو إبلاً أو غير ذلك فخارج عن الغرض^(١).

وفي ضوء هذا يمكن أن يفسر كثير من فقه المسكوت عنه في القصة القرآنية، حيث يركز النص القرآني على ما له قيمة في مجرى القصة، أما ما لا يخدم الغرض، وما يمكن أن يكون حشواً فلا وجود له في النص القرآني، وفي هذا ما يرد على كثير من التساؤلات التي تشغل أذهان العامة في بعض ما يتصل بالقصص القرآني^(٢).

(١) المثل السائر: ق ٢ ، ص ٢٣٩، والمحذوف هنا هو المسكوت عنه في لغة النقد الحدائى وما بعد الحدائى. انظر: المرايا المقعرة د/ عبد العزيز حمودة ص ٣٧٦- نشر سلسلة عالم المعرفة - عدد جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ - أغسطس ٢٠٠١م رقم (٢٧٢) .

(٢) من ذلك على سبيل المثال قولهم: أين ذهب الغلام الذى كان مع موسى (عليه السلام) بعد أن التقى موسى بالخضر؟ وقد عبر النص القرآني بعد التقاء موسى بالخضر - عليه السلام - بلفظ المثنى دون اعتبار لوجود الغلام أو عدم وجوده، لأن دوره قد انتهى ، وأصبح أمره خارجاً عن الغرض والسياق ، وهو ما يعبر عنه بعض النقاد المعاصرين بـ "جدلية الحضور والغياب فى النص الأدبى" ، حيث يقوم النص على نوعين من العلاقات: أحدهما : بين العناصر الحاضرة ، والآخر : بينها وبين العناصر الغائبة ، ولكل عنصر من هذه العناصر دوره

المبحث الثاني

نظرته إلى السياق

لم ينظر ابن الأثير إلى اللفظة المفردة ولا إلى الجملة بمعزل عن سياقهما، فقد نظر إلى السياق بعين الاعتبار سواء في تنظيره أم في تطبيقاته، يقول: "ومن عجيب ذلك^(١) أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة

(١) أى: ومن عجيب أسرار النظم ووضع كل لفظة في موضعها اللائق بها .

واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرق بينهما في السبك ، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره^(١).
 فمن ذلك قوله تعالى : ↓ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ أَنْ لَا نَكْفُرَ بِهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِهِ غَافِقًا﴾
 ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ أَنْ لَا نَكْفُرَ بِهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِهِ غَافِقًا﴾^(٢)

وقوله تعالى : ↓ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ أَنْ لَا نَكْفُرَ بِهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِهِ غَافِقًا﴾
 ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ أَنْ لَا نَكْفُرَ بِهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِهِ غَافِقًا﴾^(٣)

فاستعمل (الجوف) في الأولى و(البطن) في الثانية، ولم يستعمل (الجوف) موضع (البطن) ولا (البطن) موضع (الجوف)، واللفظتان سواء في الدلالة ، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضاً ، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل ؟^(٤)

بل إنك ترى اللفظة الواحدة تحسن في موضع ولا تحسن في غيره، ومن ذلك كلمة " تؤذى "، وهي لفظة واحدة جاءت في آية من القرآن

(١) المثل السائر: ق ١ ص ١٦٤ .
 (٢) سورة الأحزاب : جزء من الآية ٤ .
 (٣) سورة آل عمران : جزء من الآية ٣٥ .
 (٤) المثل السائر : ق ١ ص ١٦٤ .

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد
على لإنسان من الناس درهما

ولكننى مولى قضاة كلها

فلست أبالي أن أدين وتغرما

يقول : فإذا نظرنا إلى البيت الأول وجدناه يحتمل مدحاً وذمًا، أى أنهم كانوا يغنونه بعطائهم أن يدين، أو أنه كان يخاف الدين حذر ألا يقوموا عنه بوفائه، لكن البيت الثانى حقق أن الأول ذم وليس مدحًا، فهذا المعنى لا يتحقق فهمه إلا بآخره^(١).

ومن ذلك قول المتنبي فى كافور^(٢):

فإن نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده
فإن هذا البيت يحتمل مدحًا وذمًا، وإذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه يكون إلى الذم أقرب، لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد

(١) المثل السائر: ق ٢ ص ٧٧.

(٢) المثل السائر: ق ١ ص ٦٥، وهو فى ديوان المتنبي ص ٤٥٣.

والشدوذ ، و صدر البيت مفتوح بـ (إن) الشرطية، وقد أجيبت بلفظ " رب " التي معناها التقليل، أي لست من نوالك على يقين ، فإن نلته وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده ، وإذا نظر إلى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله^(١).

فقد نظر ابن الأثير إلى سياق القصيدة، وفسر البيت في ضوء هذا السياق، والقصيدة في مدح كافور، وما سبق هذا البيت من أبيات يدور في فلك هذا المديح، وذلك حيث يقول المتنبي^(٢) :

وأَمْضَى سَلاح قَليد المرء نَفسه رجاء أبي المسك الكريم وقصده^(٣).
فمن ماله مال الكبير ونفسه ومن ماله در الصغير ومهده
وحيث يقول في القصيدة نفسها^(٤):

وألقى الغم الضحاك أعلم أنه قريب بذى الكف المفداة عهده
فزارك منى من إليك اشتياقه وفي الناس إلا فيك وحدك زهده

(١) المثل السائر : ق ١ ص ٦٥ .

(٢) ديوان أبي الطيب ص ٤٥١ .

(٣) أبو المسك : كنية كافور الإخشيدي .

(٤) ديوان أبي الطيب ص ٤٥٣ .

ورغم اعتراضات ابن أبي الحديد الكثيرة على ابن الأثير فإنه قد تابعه في فهم هذا البيت بأنه ليس متردداً بين المدح والذم كما توهمه قوم، لأن سياق الشعر يقتضى أنه أراد المدح لا الذم^(١). وقد أثنى بعض النقاد المعاصرين على دراسة ابن الأثير للجملية في إطار النص، وعلى نظريته الشمولية لبعض القضايا الأسلوبية أو السياقية، كدراسته لسياق الحذف في إطار سياق أكبر هو سياق الإيجاز، و سياق الذكر في إطار سياق أعم هو الإطناب، وعدوا ذلك محاولة جادة يمكن تنميتها في مجال البحث البلاغي الحديث، وربطه بالدراسة الأسلوبية، بحيث يصبح الكل له الأهمية الأولى أو المرتبة الأولى بالنسبة للأجزاء، وإن كانت هذه الأولوية لا تلغى الجزء، ولا توقف تأثيره في السياق^(٢).

(١) انظر : الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد ص ٥٩ - تحقيق د/ أحمد الحوفى ود/ بدوى طبانة- ط/ نهضة مصر (طبعة ملحقة بالمثل السائر لابن الأثير - القسم الرابع) ، وإن كان بعض الكتاب يخالف في فهم هذا البيت ويرى أن المتنبى كان يمكر بكافور، فيعمد إلى أحداث توجيه غريب في قصائده وأبياته، بحيث تحتمل المدح والذم، وتحمل ما في نفسه من مرارة تجاه كافور الذى لم يستجب لطموحه ، فإن الذى يعيننا من إبراد هذا الشاهد إنما هو نظرة ابن الأثير إلى السياق والاعتداد به فى فهم النص. انظر : فى النقد الأدبى / شوقى ضيف ص ١٣٤- ط/ دار المعارف- سنة ١٩٨٨ م .

(٢) انظر : البلاغة والأسلوبية لمجد عبد المطلب ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والمنهج الأسلوبى فى النقد الأدبى فى مصر : التطور، النظرية، التطبيق . لمديحة جابر السايح ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

بل إن نظرة كثير من النقاد المعاصرين إلى السياق لا تكاد تخرج عن فهم ابن الأثير له، يقول محمد عبد المطلب في مستهل حديثه عن السياق: "عندما يعمد المبدع إلى تكوين جملة لغوية يقوم بعمليتين متكاملتين: في الأولى: يجرى اختياراً في مفردات مخزنه اللغوي، وفي الثانية: يجرى عملية تنظيم لما تم اختياره، بحيث يتلاءم هذا التنظيم مع النسق الذي يدور فيه الكلام" (١).

وبقارب عبد المطلب بين مفهوم العلاقات السياقية عند دي سوسير والمقام عند ابن الأثير فيما ذكره ابن الأثير في باب الصناعة اللفظية، حيث تدرج ابن الأثير من الإطار الضيق للعلاقات السياقية إلى الإطار

(١) البلاغة والأسلوبية ص ٣٠٥، وانظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية/ د/ عبد القادر عبد الجليل ص ٢١١ وما بعدها، وفي البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة د/ سعد مصلوح ص ١٧٧، ١٧٨ - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت - سنة ٢٠٠٣، ودلالة السياق د/ ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي ص ٢ - ٣، ٢٠٥، والمرابا المقعرة د/ عبد العزيز حمودة ص ٢٥٤ وما بعدها، وعلم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته د/ صلاح فضل ص ١٠٥، ٢٤٤، ٢٥٠ - ط/ دار الشروق - سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

الواسع لمفهوم السياق المتصل بالمقام، والذي يشمل اختيار الألفاظ المفردة، ثم نظمها مع بعضها، ثم الغرض المقصود من الكلام^(١). ويرى أن تناول ابن الأثير لهذه العلاقات السياقية يؤكد إدراكه لمفهوم الامتداد الخطى لسلسلة الكلام، وأهمية التوافق الذي يجب أن يتوفر فيه^(٢).

(١) البلاغة والأسلوبية لمجد عبد المطلب ص ٣٠٨، ٣٠٩، وانظر : المنهج الأسلوبى فى النقد الأدبى فى مصر : التطور ، النظرية ، التطبيق - لمديحة جابر السايح ص١٨٧-١٨٩ .
(٢) انظر : البلاغة والأسلوبية ص ٣٠٩ .

الفصل الثالث

رأى ابن الأثير في بعض القضايا النقدية الأخرى

الذوق الأدبي وأدوات الناقد:

يعد الاعتماد على الذوق والاعتداد به خطأ واضحاً في " المثل السائر"، وقد أعلن ابن الأثير ذلك صراحة في مواضع متعددة منه، يقول في مقدمته: " واعلم أيها الناظر في كتابي هذا أن مدار علم البيان^(١) على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم^(٢).

ويقول في حديثه عن استعمال صيغ الألفاظ: " ونحن في استعمال ما نستعمله من الألفاظ واقفون مع الحسن لامع الجواز، وهذا كله يرجع إلى حاكم الذوق السليم^(٣).

ويقول: إنا في تأليف الكلام بصدد استعمال الحسن والأحسن، لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز، ومما يجرى هذا المجرى قولنا: فعل

(١) علم البيان هنا يشمل علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، أو بعبارة أخرى هو فن القول وصياغة الكلام .

(٢) المثل السائر: ق ١ ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق: ق ١ ص ٣٠٠.

وافتعل، فإن لكل منهما موضعًا تستعمل فيه، ألا ترى أنك تقول: قعدت إلى فلان أحدثه، ولا تقول: اقتعدت إليه؟ وكذلك تقول: اقتعدت غارب الجمل، ولا تقول: قعدت على غارب الجمل؟ وإن جاز ذلك، لكن الأول أحسن، وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم^(١).

وقد أشرنا فيما سبق إلى مدى اعتداد ابن الأثير بالذوق في قضية تلاؤم الحروف أو تنافرهما، وطول الكلمة وأثره في ثقلها^(٢).
وهنا أشير إلى أمور:

أ- أن الذوق الذي ينشده ابن الأثير إنما هو الذوق السليم الذي صقلته الخبرة والتجربة، يقول: " فإن الدربة والإدمان أجدي عليك نفعًا، وأهدى سمعًا وبصرًا، وهما يريانك الخبر عيانًا، ويجعلان عسرك من القول إمكانًا، وكل جارحة منك قلبًا ولسنًا"^(٣).

ب- أن اعتداد ابن الأثير بالذوق لا يأتي على حساب الأدوات الأخرى الذي ينبغي على الناقد تحصيلها، يقول: فإذا ركب الله تعالى في

(١) المثل السائر: ق ١ ص ٣٠٤.

(٢) راجع: ص ٢٥، ٢٩، ٣٠.

(٣) انظر: المثل السائر ق ١ ص ٣٥.

الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فإنه يفتقر حينئذٍ إلى ثمانية أنواع من الآلات، هي^(١):

- ١- معرفة علم العربية من النحو والتصريف.
- ٢- معرفة ما يحتاج إليه من اللغة.
- ٣- معرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم.
- ٤- الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة وحفظ الكثير منها.
- ٥- معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك.
- ٦- حفظ القرآن الكريم، والتدرب باستعماله، وإدراجه في مطاوى الكلام.
- ٧- حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال.

(١) انظر: المثل السائر ق ١ ص ٤٠.

٨- علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر، وهو مختص
بالناظم دون الناثر.

وبرى أن الذوق لا بد له من ضوابط تحميه، فعلى الشاعر معرفة
العروض " لأن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات، ويكون ذلك جائزاً في
العروض، وقد ورد للعرب مثله، فإذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين
ما يجوز منه وما لا يجوز" (١).

وكذلك فإن الشاعر يحتاج إلى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروى
والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح (٢).

ج - أن ما قرره ابن الأثير في حديثه عن الذوق وثقافة الناقد كان
محل إشادة وتقدير عند كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين، يقول
د/ عبد الحكيم راضى: ومن أكثر النقاد العرب توفية لموضوع الثقافة التي

(١) المثل السائر: ق ١ ص ٦١، وهو بذلك يخالف بن طباطبا الذي يرى أن من صح طبعه لم يحتج إلى
الاستعانة على نظم الشعر بالعروض، انظر: عيار الشعر لابن طباطبا - تحقيق عباس عبد الساتر - مراجعة
نعيم زرزور - ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
(٢) المثل السائر: ق ١ ص ٦٢.

يحتاجها الأديب ضياء الدين بن الأثير في مقدمة كتابه " المثل السائر"،
وذلك في حديثه عن آلات علم البيان وأدواته^(١).

ووفي مجال الاعتداد بالذوق يقول د/ محمد زغلول سلام: ملكة
الذوق لا غنى لأى ناقد عنها، لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال
والقبح فيما يعرض له من النصوص^(٢).

ويقول د/ محمد مندور: في مجال الأدب لا يمكن أن يحل شيء
محل الذوق^(٣)، فإن الذوق السليم هو مرجعنا الأخير في دراسة الأدب،
ويجب أن يظل ذلك المرجع^(٤)، لكنه لا يطلق العنان لهذا الذوق، " فعلينا
أن نعرف كيف نميزه، ونقدره، ونراجعه، ونحدده"^(٥).

(١) نظرية اللغة في النقد الأدبي د/ عبد الحكيم راضى، ص ١٧٢.

(٢) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى د/ محمد زغلول سلام ص ١٤ - ط/ منشأة المعارف -
الإسكندرية - سنة ١٩٨٢ م .

(٣) النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٤٠٢ - ط/ نهضة مصر - سنة ١٩٩٦ م .

(٤) في الميزان الجديد د/ محمد مندور ص ١٩٣.

(٥) النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٤٠٤.

الطبع والصنعة^(١)

تأتي نظرة ابن الأثير إلى قضية الطبع والصنعة امتداداً لنظرته إلى الذوق والأدوات، فملاك الأمر كله الطبع، فإنه إذا لم يكن هناك طبع فإن تحصيل الآلات والأدوات لا يغني شيئاً^(٢).

فإذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن افتقر بعد ذلك إلى تحصيل أدوات وآلات صناعته^(٣).

على أن صاحب الطبع في المنظوم قد يجيد في المديح دون الهجاء، أو في الهجاء دون المديح، أو يجيد في المراثي دون

(١) يختلف النقاد حول هذا المصطلح: الطبع والصنعة، أو الطبع والتصنع، أو الطبع والتكلف، وأخيراً في النقد الأدبي الحديث: الموهبة والتقليد، والذي نريد أن نؤكد عليه هو أن ثمة فرقاً واضحاً بين الصنعة والتصنع، فالصنعة عمل يتطلب الجهد والمعاناة والتفكير والتنقيح، وقد تنتج إبداعاً يتأني لمن حصل أدوات الفن وامتلك آلاته، والتصنع تكلف، ومع التكلف المقت، وللنفس مع التصنع نفرة. انظر في ذلك: قضايا النقد الأدبي الحديث لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٨٧ - ط/ دار الطباعة المحمدية - سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ط/ دار الثقافة للنشر والتوزيع - سنة ١٩٨٣م، وراجع: العمدة لابن رشيق ج ١ ص ١٢٩، ١٣٠، والوساطة بين المنتبى وخصومه للقاضي الجرجاني ص ١٩.

(٢) المثل السائر: ق ١ ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق: ق ١ ص ٤٠.

التهاني، أو في التهاني دون المراثي، وكذلك صاحب الطبع في

وهو ما سبق إليه ابن قتيبة، حيث يرى أن الشعراء مختلفون في الطبع، فمنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له الرثاء ويتعذر عليه الغزل، ف" المديح بناء والهجاء بناء، وليس كل بان بضرب بانياً بغيره" (٢).

وقضية الطبع والصنعة في البلاغة العربية القديمة هي قضية الموهبة والتقاليد في النقد الأدبي الحديث، ولم يكن الاختلاف بين القديم والحديث أكثر من اختلاف في المصطلح لا في المفاهيم (٣).

ويرى بعض النقاد المحدثين أن البلاغة العربية القديمة تؤكد ريادتها المطلقة في تطوير وعى مبكر بهذا الركن من أركان النظرية الأدبية (٤).

(١) انظر: المصدر السابق ق ١ ص ٣٨.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٣ - تقديم الشيخ حسن تميم - مراجعة محمد عبد المنعم العريان - ط/ دار إحياء العلوم - بيروت - سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، وانظر: قضايا النقد الأدبي الحديث / محمد السعدى فرهود ص ٨٣.

(٣) انظر: المرايا المقعرة د/ عبد العزيز حمودة ص ٤٥٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٤٥٨.

وما ذهب إليه ابن الأثير - من أن المدار أولاً على الطبع، ثم يأتي بعد ذلك دور الأدوات في صقل هذا الطبع وتهذيبه - أمر أكده كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين، ف " أهمية الموهبة كشرط للإبداع أمر مفروغ منه"^(١)، وليس في إمكاننا أن نتصور صنعة في الفن لا ترتد إلى حس مرهف وقلب حي وعقل نابض إلا أن تكون صنعة باهتة، وقشور طلاء، وعرضاً من أعراض الجواهر، وكل ذلك يزول بعد حين، ولا يبقى إلا بمقدار اللذة منه، وهي لذة موقوتة، لا يقدر لها أن تعيش في أعماق الزمان^(٢).

لكن هذه الموهبة لا بد لها من تعهد طويل حتى يدرك المبدع إدراكاً دقيقاً معانى الأصول الأدبية الأصيلة، ويحسها في أعماقه إحساساً يفيض عليه بصور جديدة حية قوية نابضة^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٤٦٠.

(٢) انظر: اتجاهات النقد الأدبي العربي لأستاذنا المرحوم د / محمد السعدى فرهود ص ٢٦٣ . ط/ دار الطباعة المحمدية . سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٣) في النقد الأدبي د/شوقي ضيف ص ١٧٩، وانظر: المرايا المقعرة د/عبد العزيز حمودة ص ٤٦١ .

رأيه في البديع :

يمكن أن نخلص من دراسة ابن الأثير للبديع في كتابه "المثل السائر" إلى أمرين أساسيين:

الأمر الأول: أن البديع عند ابن الأثير ليس مجرد حلية أو زينة لفظية، إنما هو في صميم العمل الأدبي، وفي صلب تأليف الألفاظ المركبة^(١)، وينبغي أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه عن باطل مشوه، ويكون مثله كعمد من ذهب على نصل من خشب.

فإذا صورت في نفسك معنى من المعاني، ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع، ولم يواتك ذلك إلا بزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان، وإنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه، وإذا دلت بذلك اللفظ

(١) المثل السائر: ق ١ ص ٢١٣ .

لا يكون مسجوعاً إلا أن تضيف إليه شيئاً أو تنقص منه، فإن فعلت ذلك فإنه الذى يذم من السجع، ويستقبح لما فيه من التكلف^(١).

الأمر الآخر: أنه نظر إلى البديع بعين الاعتدال، فلم ينكره على إطلاقه أو يقبله على إطلاقه، إنما قبل منه ما جاء عفواً غير متكلف، يقول: إن هذه الأصناف - من التصريح، والترصيع، والتجنيس، وغيرها - إنما يحسن منها فى الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة من الوجه، أو كان كالطراز من الثوب، فأما إذا تواترت فإنها لا تكون مرضية لما فيها أمارات الكلفة^(٢).

وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجىء فى غاية الحسن^(٣).

وما ذهب إليه ابن الأثير - من ضرورة أن يكون اللفظ فى البديع تابعاً للمعنى لا العكس - قد تبنته ودعت إليه الدراسات الأسلوبية والنقدية الحديثة، يقول د / عبد القادر عبد الجليل: إن علم البديع ينتج عنه شحنة

(١) المصدر السابق: الموضع نفسه .

(٢) المصدر السابق: ق ١ ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق: ق ١ ص ١١٣ .

بلاغية مقصدها تحسين المعنى، المعنى أولاً وبالذات، واللفظ ثانياً وبالعرض^(١).

وقد أدخلت هذه الدراسات البديع في باب الأسلوبيات، وجعلته قسماً للمعاني والبيان لا زائداً عليهما، وراعت فيه المستويين: الصوتي والدلالي معاً^(٢).

فالتصريح، وتشابه الأطراف، ورد العجز على الصدر، والإرصاد، وترديد الحبك، والمشكلة، وغيرها من فنون البديع - قيم تعبيرية ترد في الكلام فتؤثر فيه صوتياً ودلالياً من خلال ارتباطها بموقع معين من السياق، تعمل من خلاله على إغلاق المعنى، أو مده، أو إكماله، أو بتره، على حسب مقتضيات المقام الذي مثل - عند القدماء - البعد المكاني للأداء الفني^(٣).

(١) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية د/عبد القادر عبد الجليل ص ٥١٩ .

(٢) البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب ص ٣٠٢، ٣٠٣ .

(٣) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم د/ محمد عبد المطلب ص ٣١٤، ٣١٥ .

وقد درس بعض النقاد الأسلوبيين البديع في إطار ما يطلقون عليه "علم الصوتيات الشعرية"^(١)، و "علم الرسم الشعري"^(٢)، و "فن الجماليات البنائية"^(٣).

وأرى أن ما ذهب إليه ابن الأثير - من ضرورة أن يكون المعنى في البديع تابعاً للفظ، وأن يجرى استعماله في الكلام مجرى الغرة من الوجه، دون إسراف أو تكلف - يعد ضابطاً جيداً وواعياً لهذا الفن، وأن ابن الأثير قد سبق بذلك كثيراً من النقاد والبلاغيين الذين تبنا هذه الرؤية بعد أن رأوا أن الإسراف في استخدام المحسنات البديعية إنما يأتي على حساب المعنى ويكون عبئاً ثقيلاً على النص الأدبي^(٤).

(١) انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة د/ سعد مصلوح ص ٧٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٧٧ .

(٣) انظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية د/ عيد القادر عيد الجليل ص ٥١٨ .

(٤) انظر: الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي د/ فوزي السيد عيد ربه ص ٢٧ - ط/ مطبعة الحسين الإسلامية . سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

التماسك النصي:

يشير أحد الكتّاب الأسلوبيين إلى جرأة ابن الأثير وتفردّه من بين النقاد القدماء بنظرته إلى تضمين الإسناد، وهو احتياج البيت في تمام معناه إلى البيت أو الأبيات التي تليه^(١)، حيث كانت وحدة البيت واستقلال معناه محل اعتبار لدى أكثر النقاد القدماء، لكن ابن الأثير لا يعده عيباً^(٢)، "لأنه إن كان سبب عيبه أن يُعلّق البيت الأول على الثاني، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من النثر في تعلق إحداهما بالأخرى"^(٣).

(١) يعرف ابن رشيق التضمين بأنه تعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها، ويقول: وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة عن القافية كان أسهل عيباً. انظر: العمدة ج١ ص ١٧١ .

والتضمين الذي لا يتم الكلام إلا به يعد من عيوب القوافي عند العروضيين، ويسميه بعضهم التضمين القبيح. انظر: المجموعة الوافية بعلمى العروض والقافية لأستاذنا المرحوم د/عبد السلام أبو النجا سرحان ص ١٨٦ . ط/ المؤلف . سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢) انظر: الأسلوبية ونظرية النص د/إبراهيم خليل ص ٥٦ . نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . سنة ١٩٩٧م .

(٣) انظر: المثل السائر ق ٣ ص ٢٠١ .

وبرى هذا الكاتب أننا لو تبينا نظرة ابن الأثير هذه لكانت القصيدة كالسبيكة الواحدة، لا يستطيع أحد أن يدعى تفككها وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها التي ينشدها المبدع، وتعين المتلقى على التفاعل مع النص تفاعلاً يمكنه من الوقوف على مزاياه المتمثلة في انضباطه وتنظيمه الداخلي^(١).

ومما يتصل برؤية ابن الأثير للتماسك النصي دعوته إلى حسن التخلص، يقول: أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخداً برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه^(٢).

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها سيف الدولة^(٣):

(١) انظر: الأسلوبية ونظرية النص د/ إبراهيم خليل ص ٥٦ .

(٢) المثل السائر: ق ١ ص ١٢١ .

(٣) المثل السائر: ق ٣ ص ١٢٤ .

خَلِيلِيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلَيْمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِئِي الْقَصَائِدُ^(١) .
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّا السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
فهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض، ألا ترى إلى الخروج إلى
مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد؟^(٢) .
ولا شك أن الدعوة إلى التماسك النصي ووحدة العمل الفني تعد
من أهم قضايا النقد الأدبي الحديث^(٣) .

السراقات الأدبية:

عندما وصل موضوع السراقات الأدبية إلى عصر ابن الأثير كان قد
أخذ نصيباً وافراً من الدراسة عند كل من ابن طباطبا^(٤)، والقاضي

(١) "لم" للاستفهام، دخلت لام الجر على ما الاستفهامية فحذف ألفها، وسكنت الميم لضرورة الشعر .

(٢) المثل السائر: ق ٣ ص ١٢٥ .

(٣) راجع في ذلك: النقد الأدبي د/شوقي ضيف ص ١٥٣، وقضايا النقد الأدبي الحديث أ.د/محمد السعدى فرهود
ص ٩٦، والبيان العربي د/بدوي طيبانة ص ٢٩٩، وعلم الأسلوب .. مبادئه وإجراءاته د/ صلاح فضل ص ١٠٥،
ودلالة السياق د/ ردة الله بن ضيف الطلحي ص ٦٢٩ .

(٤) انظر: عيار الشعر ص ٧٩ وما بعدها .

الجرجاني^(١)، والآمدى^(٢)، وأبى هلال العسكرى^(٣)، وعبد القاهر^(٤)، وغيرهم، و"كان البلاغيون العرب انتهاء بعبد القاهر قد قتلوا الموضوع بحثاً وجدلاً، ووصلوا في نهاية الأمر إلى تقنين شبه محدد إلى ما يمكن اعتباره تأثيراً وما يمكن اعتباره نقلاً وسرقة"^(٥).

ولا تكاد رؤية ابن الأثير للسراقات تخرج عما استقر عليه النقاد قبله من أن السرقة لا يقع في الألفاظ المفردة، ولا في المعاني المختلفة، ولا في المعاني العامة المشتركة، ولا في المعاني المستفاضة المتداولة، إنما يقع في المعنى البديع المخترع.

ويحسب لابن الأثير في هذا الباب أمران:

- (١) انظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٨٣ وما بعدها .
- (٢) انظر: الموازنة للآمدى ج ١ ص ١٢٣-١٢٧، وص ٣٤٦ وما بعدها . تحقيق السيد أحمد صقر ط/ دار المعارف . سنة ١٩٩٢ م .
- (٣) انظر: الصناعتين ص ٢١٧ وما بعدها .
- (٤) انظر: أسرار البلاغة ص ٣١٣ وما بعدها . تحقيق هـ . ريتز . نشر مكتبة المتنبي . سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٥) المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة ص ٤٤٤ .

الأمر الأول: كثرة شواهد وتطبيقاته التي تدل على سعة علمه واطلاعه على منظوم الكلام ومنشوره، مما أسهم في نشاط النقد التطبيقي، يقول د/ عبد العزيز حمودة: إن الجدل الذي انشغل به البلاغيون العرب مبكراً حول سرقة المعاني وتداعيتها، واقتباس الصور أو تقاربها - كان البداية الحقيقية للنقد التطبيقي القائم على قراءة لصيقة للنص.

وأهمية ذلك تاريخياً أن الحديث في أمور السرقات الشعرية في تلك المرحلة المبكرة، وقبل أي تأثير حقيقي بالنظريات والأفكار الوافدة أصل الممارسات التطبيقية تأصيلاً كاملاً في الفكر العربي وثقافته، ثم إن ذلك الجدل التطبيقي هو الذي فتح الباب أمام التنظير البلاغي والنقدي فيما بعد^(١).

الأمر الآخر: أن ابن الأثير استوعب ما كتبه النقاد السابقون وأعاد صياغته وتقنيته^(٢).

(١) المرايا المقعرة د/عبد العزيز حمودة ص ٤٤٢، ٤٤٣ .

(٢) المثل السائر: ق ٣ ص ٢١٨ وما بعدها .

وإن كان يحسب عليه أنه قد أسرف في التقسيم والتفريع، مما أفقد بعض تقسيماته الدقة العلمية، وجعل تعريفه لبعض الأقسام غير جامع ولا مانع، فإنه قد قسم السرقة إلى خمسة أقسام، ذكر ثلاثة منها، هي^(١) :

١- النسخ، وهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه.

٢- السلخ، وهو أخذ بعض المعنى .

٣- المسخ، وهو إحالة المعنى إلى ما دونه .

ثم قال: وهناك قسمان آخران^(٢) :

أحدهما: أخذ المعنى مع الزيادة عليه.

والآخر: عكس المعنى إلى ضده .

وفي حديثه عن السلخ جعله اثني عشر ضرباً، الضرب الرابع منها: أن

يؤخذ المعنى فيعكس^(٣)، والضرب السادس: أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى

آخر^(٤) .

(١) المصدر السابق: ق ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق: الموضع نفسه .

(٣) المصدر السابق: ق ٣ ص ٢٤٤ .

(٤) المصدر السابق: ق ٣ ص ٢٤٩ .

وعليه فالقسمان الأخيران من تقسيمه الخماسي لأنواع السرقات داخلان في القسم الثاني وهو السلخ، فما كان أغناه عن كثرة هذه التفريعات^(١).
القديم والحديث:

يسلك ابن الأثير في عداد النقاد المنصفين في نظرتهم إلى القديم والمحدث، فإنه لا ينظر إلى القديم بعين الإجلال لتقدمه، ولا إلى المحدث بعين الازدراء لتأخره، بل ينظر بعين النصفة والعدل إلى كل من الفريقين. وهو بذلك يتابع كلا من ابن قتيبة^(٢) والقاضي الجرجاني^(٣) في إنصافهما للمحدثين، يقول: ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل اللطيف، فمتى وُجد ذلك فكل مكان خيمت فيه فهو ببابل^(٤).

(١) انظر: ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد د/محمد زغلول سلام ص ٢٩٢، والنقد المنهجي عند العرب د/محمد مندور ص ٣٧٠. ٣٧٢.

(٢) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٣. تقديم حسن تميم. مراجعة محمد عبد المنعم العريان. ط/دار إحياء العلوم. بيروت. سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) انظر: الوساطة للقاضي الجرجاني ص ٥٠.

(٤) المثل السائر: ق ٣ ص ٢٢٥.

وينكر على ابن الأعرابي انحيازه إلى جانب الشعر القديم، ويستنكر ما كان منه عندما أنشد أرجوزة على أنها لأحد الشعراء القدماء فاستحسنها وقال: هذا هو الديباج الخسرواني^(١)، ثم استكتبها، فلما أنهاها قيل له: هذه لأبي تمام، فقال: من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة، ثم ألقى الورقة من يده، وقال: يا غلام خرّ خرّ^(٢).

وفي حديثه عن التخلص والاقتضاب يرى أن حسن التخلص دليل على حذق الشاعر وقوة تصرفه، وأن المحدثين تصرفوا في التخلص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة^(٣).

أما الاقتضاب فإنه ضد التخلص، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلامًا غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضمين^(٤).

(١) الديباج الخسرواني: الحرير الفارسي الفاخر .

(٢) انظر: المثل السائر ق ٣ ص ٢٧٣ .

(٣) انظر: المصدر السابق ق ٣ ص ١٢٢ .

(٤) انظر: المصدر السابق ق ٣ ص ١٢١ .

فإنه يرى أن المحدثين أبدعوا في تخلصهم، وتفوقوا في ذلك على أسلافهم من الجاهليين والمخضرمين.

ولا شك أن نظرة ابن الأثير إلى القديم والمحدث تتسم بالدقة والموضوعية، فإن الله عز وجل - كما ذكر ابن قتيبة - لم يقصر العلم والشعر على زمن دون زمن، ولا خص به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثًا في عصره^(١)، فقديم اليوم كان حديث الأمس، وحديث اليوم سيكون قديم الغد.

(١) انظر: الشعر والشعراء ص ٢٣، ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا المرحوم د/ محمد السعدى فرهود ص ٣٠، ٣١. ط/دار الطباعة المحمدية . سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ومطالعات في الكتب والحياة للعقاد ص ٢٣٠ . ط/دار المعارف . سنة ١٩٨٧م .

العدول والانحراف^(١):

يعد ابن الأثير من أقدم النقاد الذين تحدثوا عن مصطلح العدول، وأسسوا له كظاهرة أسلوبية، فقد ذكره - باعتباره انتقالاً عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى أو عن أسلوب إلى أسلوب آخر، لخصوصية تقتضى ذلك - ست مرات في باب الالتفات وحده^(٢)، وذكره أو أشار إليه في مواضع كثيرة، منها: العدول عن الحقيقة إلى المجاز^(٣)، والعدول عن الخطاب بالجملة الأسمية إلى الجملة الفعلية أو العكس^(٤)، والعدول عن حرف من حروف الجر إلى حرف آخر^(٥)، والعدول عن استخدام صيغة من

(١) العدول: هو الانتقال عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، أو عن أسلوب إلى أسلوب آخر، لخصوصية يقتضيها المقام أو السياق، أما الانحراف: فيأتي عند بعض النقاد مرادفاً للعدول، ويتجاوز عند بعضهم هذا المعنى إلى كونه وسيلة لكسر النظام ونقضه من أساسه، وقد فصلت القول في ذلك في بحث لي بعنوان: "العدول بين القدماء والمحدثين - دراسة نقدية" ص ١٤٧ " تحت النشر بالمجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالفاخرة .

(٢) المثل السائر: ق ٣ ص ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨ .

(٣) انظر: المصدر السابق ق ٢ ص ٦٤، ٦٨ .

(٤) انظر: المصدر السابق ق ٢ ص ١٩١ .

(٥) انظر: المصدر السابق ق ٢ ص ١٨٩، ١٩٠ .

الألفاظ إلى صيغة أخرى^(١)، وهو ما يعرف في النقد الحديث بعملية الاستبدال^(٢).

وقد أورد ابن الأثير في مثله السائر شواهد كثيرة لهذه الظاهرة الأسلوبية، منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾^(٣)

يقول: ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هنا إلى المستقبل، فقال:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾^(٣) ولم يقل: "فأصبحت" عطفًا على ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾^(٣)، وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، فإنزال الماء مضي وجوده، واخضرار الأرض باق لم يمض، وهذا كما تقول: أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرًا له، ولو

(١) انظر: المصدر السابق ق ١ ص ٢٩٧.

(٢) انظر: المرايا المقعرة د/عبد العزيز حمودة ص ٢٥٢، ٢٥٥، وقد فصلت القول في العدول عند ابن الأثير في بحثي المشار إليه سابقًا "العدول بين القدماء والمحدثين . دراسة نقدية" ص ١٥ . ١٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٦٣ .

الأول، لأن الأول موضع التقرب من الله تعالى بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً، وروى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً^(١).

وأرى أن في إثارة مصطلح العدول على مصطلح الانحراف ما يشير إلى دقته وسلامة ذوقه، لأن الانحراف مع كونه ميلاً أو انصرافاً عن الشيء إلى غيره فإن جذره اللغوي يحمل شيئاً من معاني الزيغ والخروج عن طريق الجادة، على العكس من الجذر اللغوي للعدول، الذي يحمل في طياته معنى الاستقامة والتقويم، يقال: عدلته فاعتدل أى سوّيته فاستوى، وقومته فاستقام، وعليه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني كما يعدل السهم في الثقاف"، أى قوموني^(٢).

(١) المثل السائر ق ٢ ص ١٣٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور: مادة "عدل"، وانظر: العدول بين القدماء والمحدثين . دراسة نقدية للباحث ص ٧، ٨ (مرجع سبق) .

الخاتمة

وختامًا أسجل الآتي:

١. أننا لو أعدنا قراءة تراثنا النقدي قراءة واعية منصفة دون انبهار مسبق بمنجزات العقل الغربي لوقفنا على كثير من كنوزه ونفائسه، واتضح لنا- بما لا يدع مجالاً للشك - أن الحياة الأدبية في عصرها الذهبي كانت تموج بتيارات وحركات نقدية لا تقل حيوية وأهمية عن حركة الحياة الأدبية والنقدية في القرن العشرين سواء في أوروبا أم في عالمنا العربي، وأن القضايا التي تناولها النقاد العرب القدماء لم تمت بموتهم، فإن الكثير منها ما زال حاضرًا بقوة في ثقافتنا الأدبية والنقدية، وما زال قادرًا

على تشكيل منطلق قوى ومتمين لنظرية عربية حديثة في النقد الأدبي تنظر بعين الاعتبار إلى الماضي والحاضر معاً، بحيث لا تنكفي على القديم ولا تنسلخ منه، ولا تنزل عن الحاضر والآخر الثقافي، ولا تذوب في هذا الآخر ذوباناً يفقدها خصوصيتها وتميزها.

٢- أن كتاب "المثل السائر" لابن الأثير يعد أنموذجاً جيداً للمصادر الأدبية والنقدية التي ينبغي إعادة قراءتها في حضور خلفية نقدية عصرية، وأن هناك مصادر أخرى: كـ "الوساطة" للقاضي الجرجاني، و "الموازنة" للآمدي، و "الصناعتين" لأبي هلال العسكري، و "العمدة" لابن رشيق، وغيرها، في حاجة ملحة إلى مثل هذه القراءة.

٣- نظر ابن الأثير إلى المفردة على أنها جزء لا يتجزأ من النظم، واعترف بقيمة وجمال الطرفين معاً.

فأول الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها الأدب عنده إنما هي الألفاظ المفردة، وحكمها حكم الآلي المبددة، فإنها تُتخير وتُنقى قبل النظم، وللمفردة محاسن تضاف إلى محاسن النظم، ولجرس الألفاظ وقع إيجابي كثيراً ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد إحساسه.

على أن اهتمام ابن الأثير باللفظة المفردة لا يأتي على حساب التركيب أو السياق، فاختيار المفردة ما هو إلا مقدمة لنظمها مع أختها المشاكلة لها، ووضعها في الموضع الذي يتطلبه الموقف والسياق، مع تأكيده أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر وأشق.

وهذه النظرة الشاملة للفظه والسياق معاً قد تبناها كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين .

٤- درس ابن الأثير الجملة في إطار النص، ولم يكن تقليدياً في دراسته، فعندما درس سياق التقديم والتأخير لم يقف عند النظرة الجزئية التي تتعلق بقضايا الإسناد أو التعلق، كتقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم بعض متعلقات الفعل، إنما تجاوز هذه النظرة إلى رؤى سياقية أوسع، كتقديم السبب على المسبب، والكثير على القليل، والأعجب على العجيب.

وقد أثنى بعض النقاد المعاصرين على دراسته للجملة في إطار النص، وعلى نظراته الشاملة لبعض القضايا الأسلوبية، كدراسته لسياق

الحذف في إطار سياق أكبر هو سياق الإيجاز، وسياق الذكر في إطار سياق أعم هو سياق الإطناب، وعدوا ذلك محاولة جادة يمكن تنميتها في مجال البحث البلاغي الحديث، وربطه بالدراسة الأسلوبية، بحيث يصبح الكل له الأهمية الأولى أو المرتبة الأولى بالنسبة للأجزاء، وإن كانت هذه الأولوية لا تلغى الجزء، ولا توقف تأثيره في السياق.

٥. نالت آراء ابن الأثير في كثير من القضايا الأدبية والنقدية التي ناقشها أو تعرض لها في مثله السائر إشادة وتقدير كثير من النقاد المحدثين والمعاصرين، وبخاصة تناوله لقضايا: الذوق وثقافة الناقد، والطبع والصناعة، والتماسك النصي، والسياق، والعدول والانحراف.

٦. يحسب لابن الأثير في مثله السائر كثرة شواهد وتطبيقاته التي تدل على سعة علمه، واطلاعه على منظوم الكلام ومنشوره، وتمكنه من أدوات فنه، مما أسهم في نشاط النقد التطبيقي.

وإن كان يحسب عليه اعتداده الشديد برأيه، وادعاؤه السبق في كثير من القضايا لنفسه.

والله أسأل السداد والتوفيق، والرضا والقبول، هو مولانا فنعم المولى
ونعم النصير .

المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات النقد الأدبي العربي لأستاذنا أ.د/ محمد السعدى
فرهود (رحمه الله) . ط/ دار الطباعة المحمدية . سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني . تحقيق هـ . ريتز .
نشر مكتبة المتنبى . سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٣- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية د/ عبد القادر عبد الجليل .
نشر دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان . الأردن . سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

٤. الأسلوبية ونظرية النص د/إبراهيم خليل - نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٩٧ م .
٥. الأعلام للزركلي - ط/دار العلم - بيروت - سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
٦. البداية والنهاية لابن كثير - تحقيق محمد عبد العزيز النجار - نشر دار الغد العربي - سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعيدي - ط/المطبعة النموذجية - نشر مكتبة الآداب - القاهرة - بدون تاريخ .
٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط / دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
٩. البلاغة: تطور وتاريخ د/شوقي ضيف - ط/دار المعارف - سنة ١٩٩٥ م .
١٠. البلاغة والأسلوبية د/محمد عبد المطلب - نشر شركة أبي الهول - القاهرة (سلسلة أدبيات) .

- ١١- البيان العربى: دراسة فى تطور الفكرة البلاغية عند العرب
ومناهجها ومصادرها الكبرى د/بدوى طبانة - نشر مكتبة الأنجلو المصرية -
سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- ١٢- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - نشر مكتبة
الخانجى - سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- ١٣- تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى
د/محمد زغلول سلام - ط/منشأة المعارف - الإسكندرية - سنة ١٩٨٢م.
- ١٤- جدلية الأفراد والتركيب فى النقد العربى القديم د/محمد
عبد المطلب - نشر شركة أبى الهول - القاهرة (سلسلة أدبيات) - سنة
١٩٩٥م.
- ١٥- جماليات المفردة القرآنية د/أحمد ياسوف - إشراف وتقديم
د/نور الدين عتر (رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة حلب) -
ط/دار المكتبى - دمشق - سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ١٦- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر - تحقيق محمد رضوان الداية
وفائز الداية - نشر مكتبة سعد الدين - دمشق - سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ١٧- دلالة السياق د/ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي - ط/جامعة أم القرى - سنة ١٤٢٤هـ.
- ١٨- ديوان أبي تمام - شرح الخطيب التبريزي - تحقيق محمد عبده عزام. ط/دار المعارف - سنة ١٩٧٦م.
- ١٩- ديوان أبي الطيب المتنبي - تحقيق د/عبد الوهاب عزام - ط/الهيئة العامة لقصور الثقافة - سنة ١٩٩٥م.
- ٢٠- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي - ط/دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد - ط/دار الفكر- بيروت - سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ٢٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة - تقديم الشيخ حسن تميم - مراجعة محمد عبد المنعم العريان . ط/دار إحياء العلوم . بيروت . سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٢٣- الصناعتين لأبي هلال العسكري . تحقيق د/مفيد قميحة . ط/دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- ٢٤- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق د/حفيى محمد شرف - ط/مطبعة الرسالة - نشر مكتبة الشباب - سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .
- ٢٥- ضياء الدين بن الأثير لمحمد زغلول سلام - ط/دار المعارف - سنة ١٩٨١م (سلسلة نوابغ الفكر العربى).
- ٢٦- ضياء الدين بن الأثير وجهوده فى النقد د/محمد زغلول سلام - ط/نهضة مصر - سنة ١٩٥٦م .
- ٢٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوى - مراجعة وضبط وتدقيق عبد السلام شاهين - ط/دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- ٢٨- العدول بين القدماء والمحدثين: دراسة نقدية للباحث، تحت النشر بالمجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.
- ٢٩- علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته د/صلاح فضل - نشر دار الشروق - سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- ٣٠- العمدة لابن رشيق - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ط/دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ .

- ٣١- عيار الشعر لابن طباطبا . تحقيق عباس عبد السائر . مراجعة نعيم زرزور . ط/دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ٣٢- الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد . تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانة . ط/نهضة مصر (طبعة ملحقة بكتاب المثل السائر لابن الأثير . القسم الرابع).
- ٣٣- الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي أ.د/فوزى السيد عبد ربه . ط/مطبعة الحسين الإسلامية . سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٣٤- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة د/سعد مصلوح . ط/مجلس النشر العلمي . جامعة الكويت . سنة ٢٠٠٣م .
- ٣٥- في النقد الأدبي د/شوقي ضيف . ط/دار المعارف . سنة ١٩٨٨م .
- ٣٦- المثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير " . تأليف د/بدوى طبانة . ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٩٦م .
- ٣٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير . تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانة . ط/نهضة مصر . بدون تاريخ .

- ٣٨- المجموعة الوافية بعلمى العروض والقافية أ.د/عبد السلام أبو النجا سرحان . ط/المؤلف . سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٣٩- المذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق لأستاذنا د/محمد السعدى فرهود (رحمه الله) . ط/المؤلف . سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .
- ٤٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعى . نشر مؤسسة الأعلمى . بيروت . سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٧م .
- ٤١- المرايا المقعرة د/عبد العزيز حمودة (سلسلة عالم المعرفة . عدد جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م . عدد رقم ٢٧٢) .
- ٤٢- معجم البلدان لياقوت . ط/دار صادر . بيروت . سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- ٤٣- من روائع القرآن د/محمد سعيد البوطى . ط/دار الفارابى . دمشق . سنة ١٩٧٠م .
- ٤٤- المنهج الأسلوبى فى النقد الأدبى فى مصر : التطور، النظرية، التطبيق . لمديحة جابر السايح . نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة . سنة ٢٠٠٣م .

- ٤٥- مطالعات في الكتب والحياة للعقاد . ط/دار المعارف .
سنة ١٩٨٧م.
- ٤٦- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي . تحقيق
السيد أحمد صقر . ط/دار المعارف . سنة ١٩٩٢م.
- ٤٧- نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب لأستاذنا د/محمد السعدي
فرهود (رحمه الله) . ط/دار الطباعة المحمدية . سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٤٨- نظرية البنائية في النقد الأدبي د/صلاح فضل .
ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ٢٠٠٣م .
- ٤٩- نظرية اللغة في النقد الأدبي د/عبد الحكيم راضي . نشر مكتبة
الخانجي . سنة ١٩٨٠م.
- ٥٠- النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى
(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمانى، والخطابى، وعبد القاهر) .
تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام . ط/دار المعارف .
سنة ١٩٩١م.

- ٥١- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضي الجرجاني - تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - نشر المكتبة العصرية -
بيروت - سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٥٢- وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس - ط / دار صادر
- بيروت - سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	مقدمة
	تمهيد
	أ. التعريف بابن الأثير .
	ب . المثل السائر وقيمه العلميه .
	الفصل الأول: نظرة ابن الأثير إلى اللفظة المفردة.
	المبحث الأول: قيمة اللفظة المفردة عند ابن الأثير
	المبحث الثاني: المستوى الصوتي للفظه المفردة عند ابن الأثير
	المبحث الثالث: المستوى الدلالي للفظه المفردة

	عند ابن الأثير
	الفصل الثاني: نظرة ابن الأثير إلى الجملة والسياق.
	المبحث الأول: نظرتة إلى الجملة.
	المبحث الثاني: نظرتة إلى السياق.
	الفصل الثالث: رأى ابن الأثير فى بعض القضايا النقدية الأخرى.
	الذوق الأدبى وأدوات الناقد .
	الطبع والصنعة.
	رأيه فى البديع .
	التماسك النصى .
	السرقات الأدبية.
	القديم والمحدث .
	العدول والانحراف .
	خاتمة .

الفكر النقدي في المثل السائر

	المصادر والمراجع .
	فهرس الموضوعات .